

إبريل ٢٠٠٦ - العسدد ١٤٨

## يـوم الأرض الفسطينـي

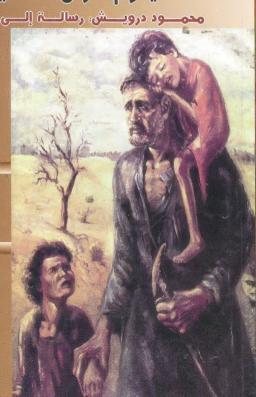
محمصود درويسش، رسالحة إلى أنطل فتقطل

رسائل راشیل کوری: بلاغ عن الإبادة محمد مندور وخطابه التقدمي

(BELL)(EXEZ) «UPPOPULATION»

رجاء النقاش يكتب عن فاروق شوشة

«رحلة سلام»: مسرحية لبنت في الإعدادية



#### أدب ونقد

#### مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية شهرية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى . تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الثالثة والعشرون

العدد ٢٤٨ أبريل ٢٠٠٦



رئيس مجلس الإدارة: د. رفعت السعيد رئيس التمصرير: فريدة النقاش مدين التمصرير: حلمي سمسالم سكرتير التحرير: عيد عبد الحليم

مجلس التحرير : إبراهيم أصلان / أحمد الشريف / د. صلاح السروي / جرجس شكري / طلعت الشايب / د. علي مبروك / على عوض الله / غادة نبيل / كمال رمزي / مصطفى عبادة / ماجد يوسف

#### المستشارون

د. الطاهر مكى / د. أمينة رشيد صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس

شارك فى هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر محمسد روميش / ملك عبسد العسزيز

أعمال الصف والتوضيب سحر عيد الحميد تصميم الفلاف أحمد السحمني

الغلاف للفتان الفلسطيني الكبير : إسماعيل شموط الرسوم الداخلية للفنان الفلسطيني الكبير الراحل : ناجي العلي

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالى / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنيها البلاد العربية ٥٠ دولارا / أوروپا وأمريكا ٧٥ دولارا شركة الأمل للطباعة والنشر

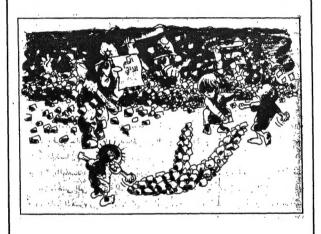
الأعمال الواردة إلى المجلة لا تريد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدي أو البريد الالكتروني : adahwanand@vahoo.com

موقع [أدب ونقد] على الانتزنت: adabwanaqd.4t.com ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن ثماني صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة

المراسلات: مجلة (أدب وتقد) ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب / الأهالي القاهرة / هاتف ٥٩١١٢٨/٢٩ فاكس ٧٨٤٨٢٧

## المحتويات

o	* أول الكتابة / المحررة
٩	* يوم الأرض الفلسطيني / ملف
١	- بيت الجنوبي / شعر / محمود درويش
	- أدب المقاومة الفلسطينية بين السجن والحرية /
١٥	دراسة / مبحى شحرورى
۲۰	- أغنية الشعب، هوية الوطن/دراسة/ ريهام زين العابدين
٣٧	– جنین / شعر / سلیمان دغش
	- الموجة عودة / شعر / معين شلبية
٤٤	- كلاكما قربان / قصة / منال خميس
	٠٠ الديوان الصغير:
	- رسائل راشيل كورى: بلاغ عن الإبادة
٤٧	ترجمة لميس النقاش، تقديم فريدة النقاش
	- رؤية محمد مندور في السياسة والاقتصاد والاجتماع/
٧٢	رؤية / د. إيمان السعيد جلال
۸۱	- الأفغاني وتلاميذه: «وثائق مجهولة» / تراث / توفيق حنا
٨٨ ٨٨	- أغنية الغضب وأغنية الرضا / دراسة / السيد زهرة
	- رحلة سلام / نص مسرحي / ريم حسن شحاتة
1.1	- جيوب مثقلة بالحجارة والألم / كتاب / عالية ممدوح
115 311	- ثقافة المعارض الفنية / تشكيل / كمال الدين عيد
	- البرىء / قصة / د. فخرى لبيب
174	- ثرثرة / قصة / محمود قتاية
١٣٣:	- شريعة الغرباء / شعر / عيد عبد الحليم
	- هشيم النخل / شعر / إبراهيم خطاب
١٣٩	– منتدى الأصدقاء / التحرير
	- إشارات : فاروق شوشة / رجاء النقاش



## أولالكتابة

انش غلت طويلا بكلام عن الحب لا أدرى لماذا ظل باقيا فى ذاكرتى كل هذه السنين، قالد الأدبية والفيلسوفة الفرنسية سيمون دى بوفوار فى واحدة من رواياتها، كنت قد قراتها فى ستينيات القرن الماضي.. كانت بطلتها تتساءل: ماذا يا ترى يجعل أحدا يبقى على حب أحد بعد أن تنطفئ جذوة الحب الأولى؟

واستعيد هذا القول كلما نظرت حولى لتجارب شابات وشبان يتزوجون بعد حب طويل ولا تكاد تنقضى سنوات قليلة إلا وتنفجر العلاقة وتتفكك ويحدث الطلاق الذى تتزايد معدلاته بسبرعة، رغم أن الزواج قد أصبح هو نفسه عسيراً جدا إذ يقال إن هناك تسعة ملايين شاب وفتاة تجاوزوا سن الخامسة والثلاثين دون أن يتزوجوا بسبب عسر العيش بدءا بالبطالة وليس انتهاء بالعجز عن توفير سكن أو الارتفاع المتزايد في الأسعار

وربما لهذا السبب نفسه برزت ظاهرة الزواج العرفى بين الشباب والفتيات بدءا من سن المراهقة في سعى لتلبية احتياجات شبابهم الفوار، ودون خروج في الوقت نفسه على مقتضيات الضمير الديني وحرص الفتاة على نحو خاص على الاحتفاظ بأي ورقة تثبت أنها متزوجة من رجلها اتقاء لغدر محتمل كثيرا ما يحدث ليدمر حياة البنت وليس الولد، وفي قصمة «هند الحناوي» عبرة وأي عبرة.

لكن السؤال الذى بقى طويلا معى يخص علاقات الحياة الدائمة تلك التى تبدأ بالزواج وتعبر كل الحواجز وتتخطى الصىعاب كافة لتبقى راسخة على مر الزمن تتحدى كل أشكال الإحباط والضجر.

كان رد سيمون دى بوفوار. على ما أذكر كما أنه ردى الآن أنه لابد من معنى ما .. فكرة كبيرة.. هدف لا يخص الذات الفردية وحدها ويصبح مع الزمن مشتركا بين طرفى العلاقة يغذيها ويمدها بماء الصياة فتعاود الأخصرار كلما أوشكت على الذبول.

فماذا يبقى للإنسان حين تخلق الحياة من المعني. ويجد المرء نفسه مربوطاً كثور فى ساقية الكدح دون هدف وكانها صخرة سيريف يحملها إلى قمة الجبل ثم يسقطان معا ليعاود هو حمل الصخرة وبدء رحلة الصعود مجددا إلى اللامعنى .. والإنسان هنا رجل وامرأة.

فى الدروب المظلمة للامعنى تذوى الروح، ويعجز الحب عن تجديد طاقاته ويتعثر فى الحديدات وتتفتح أبواب جهنم أمام صنوف الإدمان فى تطلع غير واع لخلق المعنى ولو فى الوهم مع دخان المخدرات أو حالة الهذيان المصاحبة لها والتى ظن بعض المبدعين أنها الحالة المثلى والملائمة للإبداع أو الانتصار على واقع راكد وبانس، وعلاقات إنسانية فقدت بهجتها ووهجها الأول ويسعى المحبطون لتجديدها ولو عبر تغيير الوعى والسباحة مع الأوهام.

والإنسان الفاعل في واقعه المتطلع دائما لأن يكون له دور لا فحسب في السيطرة على مصيره الشخصى. وإنما أيضا في مسار الواقع الاجتماعي. السياسي دافعا به للأمام وللأفضل هو إنسان متالم بالضرورة لا أذكر اين قرأت أنه ما من شيء عظيم حقا في الحياة يمكن إنجازه بدون ألم فالإنسان الفاعل ينزل إلى البحر يخوض غمار التجربة يجاهد من أجل اصطياد سمكة حتى ولو خرجت له بعد عناء هيكلا عظميا كما حدث لبطل هيمنجواي العجوز والبحر، نعم وجد السمكة هبكلا لكنه كان قد انحز عمله العظيم وتألم كثيرا وفرح كثيرا. فهناك مكاسب في هذا العالم يصبعب ترجمتها في أشكال مادية. وهذا يتوقف على مفهومنا للمكسب والخسارة. فقد نجح المجتمع الرأسمالي عبر السعار الاستهلاكي والروح النفعية العارية في أن يرسخ مفهوما ضيقا للكسب والنجاح جعل المثل الشائع «معاك قرش تساوى قرش» كأنه حقيقة حين ينتصر المال على الإنسان، الذي يقوم السوق بإخضاعه وتسحقه الأشياء بسحرها وتجرى مقايضة مهنية بينه كقيمة عليا في حد ذاته وبين ما يملكه من أشياء وكثيرا ما تنجح هذه الأشياء وياللاسف في إطفاء جذوة الحب بإغراقه في الاعيب المقايضة أو اختزاله في لحظة إشباع عابرة خالية من المعنى فالمسافة تكون قد نشأت بين طرفي العلاقة بسبب «المال» أو «النجاح» أو «المكاسب» لأن أفقا أخر العلاقة الإنسانية لم يظهر يحميها من الاختناق ومن ضيق الأفق والأنغماس الكلى في المصالح الذاتية. ثم بدء التقاتل من أجل زيادة هذه المصالح أو التنازع عليها فيما بين المحبين ماداموا قد تشبعوا هم أنفسهم حتى الثمالة بقيم المجتمع الراسمالي دون أي نقد لها أو سعى لابتداع قيم بديلة تتجاوزها قيم تحول الإنسان ذلك الكائن الذى كرمه الله إلى هدف فى حد ذاته قطرة واحدة فى بحر عميق ينشدها البحر كله ويرعاها.

نحتاج إلى منظومة أفكار لا أقول نعتنقها وإنما نحبها أولا ونحن نتعلم منها هذه الحقيقة البسيطة أى أن الإنسان هو أثمن رأس مال. ونحن نتطلع لرد شاف على سؤال الفيلسوف الألماني كانط ما الإنسان؟ وهو نقسه السؤال الذي انشغل به كبار المفكرين والمبدعين على مر العصور، هو سؤال كارل ماركس مؤسس الشيوعية الذي دعانا للنضال خروجا من مملكة الضرورة إلى ملكة الحرية وهو سؤال فرويد مؤسس علم النفس التحليلي الذي غاص في دواخل البشر وغير نظرتهم لأنفسهم بشكل جذري اصبحنا بعد كشوفاته الفريدة أقدر من ذي قبل على فهم ذواتنا عبر استدعاء المكبوت واللاواعي والتعلم من المنا.

وجدت نفسى اكتب ذات مرة بعد قراءة فرويد «أه لكم تعلمت من ألمي» هو كان أيضا سؤال سقراط ذلك الفيلسوف العظيم الذي قبل الموت طائعا دفاعا عن فكرته وموقفه فشرب السم مختارا وأخذت أسطورته الواقعية تلون حياة القابضين على الجمر دفاعا عن مثاهم العليا في كل مكان.

الإنسان هو إذن موقف ومعني. قيمة وغاية لو لم يؤرقة الترق المعرفة والفعالية نضبت روحه وذوت ولو لم تقده لهفته إلى معرفة الحقيقة التى تحتاج جهدا ذاتيا حقيقيا وتحتاج إيضا «للإقامة عند الآخر» على حد تعبير الفيلسوف الفرنسي «بول ريكور» ويدون تلك الإقامة الضرورية «لن أصحح رؤيتي لنفسي ومعرفتي لذاتي» حينها سوف أحفر وأحفر وضولا إلى المفبأ تحت غياهب لكبوت وأغسل نفسي حتى تتحرر من غبار السنين، وأكون عونا للأخرين وسنداً للفكرة التي أحببتها وحولتها إلى سيرة حياة سيرة تجرى في دماء اليومي وفي كل تفصيلات الحياة العادية ليتكشف البعد الاسطوري المختفى تحتها ويظهر المعنى جليا ناصعا لا يطبق الفراغ على الروح وتصيب عدواه الدماغ.

لا توجد طرق سريعة إلى الأهداف العليا، طرق تنقذ الحب الذي يهرب أو يذوى بل إن الطرق الباشرة نفسها إلى هذه الأهداف لم تعد ممكنة لذا فإن كُل الخيارات المطروحة أمام الإنسان ليكون فعالا في تغيير الواقع البائس وإن كانت تتساوى في جاذبيتها فإن أسئلة النقد وحدها وعلى رأسها سؤال: لمصلحة من؟ هي التي سوف تبين الغث من السمين وهي التي ستقود خطى الجروحين بالمعرفة العميقة على طريق أقرب

الاختيارات إلى الصواب. فلا يسكنهم الهلع من الأسئلة، ولا يقبلون سلطانا على العقل من خارجه، ويعتبرون العقل أداة للوصول لا هدفا في ذاته، ولا يرون أن بوادر الميلاد الواقعية لقوى أصولية ظلامية فيها ملامح فاشية يمكن أن يكون إيذاناً بتكرار تجربة الأزمة الأوروبية العميقة في منتصف القرن الماضى التي ادت إلى ولاد النازية والفاشية والحرب العالمية الثانية وكانت هذه الأزمة قد دفعت عددا من ألم المفكرين لكي يكفروا بعقلانية الأنوار بل وأخذوا ينزلقون بالتدريج إلى العدم والحزن العميق وهو عنوان رواية لسارتر.

لا.. لا يجوز أن يدفعنا الهوان الراهن إلى العدم ولا إلى الحزن العميق كما أن التاريخ
 لا يكرر نفسه إنما تتشابه بعض ردود الأفعال حين تتشابه العوامل المتصارعة في
 المقامات.

وإنه لعدم من نوع أخر ذلك الذى يرى أن الأنغماس الكلى فى الذات ولسان حالة يقول «أبعد عن الشر وغنى له، هو ملاذ أو حل فما من حل فردي، وما من جدوى للانسحاب من الميدان حتى لا تتلوث بقاذورات الواقع المتردي.. فسوف تكون الأفكار والقيم والمثل العليا التى نختار التشبث بها والدفاع عنها فى كل تفصيلات الحياة عونا لنا على إزاحة القذارة.. الإحن الصغيرة والضغائن الشخصية وصدا الجهاز الأخلاقى لكثير من البشر وتحول السياسة إلى مناورات والاعيب صغيرة وحسابات شخصية لبعض الأفراد حتى فى أوساط التقدميين.

لابد أن أحدكم سوف يسال: أكل هذا من أجل إنقاذ الحب؟ أكل هذا حتى لا تتاكل علاقات المحبين وتبقى أشواقهم نضرة أبدا كشجرة دائمة الأخضرار؟ أقول نعم. فهل يا ترى أكون قد وصلت بعد كل هذا العمر من العمل والأفكار إلى التبشير بحب

من نوع جديد حيث «الحب دينى وإيمانى» كما يقول «بن عربي» وذلك حتى أدعو الذين خابت أمالهم لاستعادة الأمل والبدء من جديد.

لكننى كنت أفكر طيلة الوقت فى ما أهفو إليه هو السير على طريق إنجاز ثورة هادئة حين يخرج كل الذين انسحبوا إلى ذواتهم إلى العالم الواسع ليكون قوة تغيير فعالة فهل سيخرجون بما نعم وريما لا ومع الرد الأخير لن أكون أنا التى خسرت إنما الحب.

الحررة

### ملف

## يوم الأرض الفلسطيني



- \*بیت الجنوبی / محمود درویش
- \* أدب المقاومة الفلسطينية / صبحى شحرورى
- \* أغنية الشعب، هوية الوطن/ ريهام زين العابدين
  - \* جنين/سليمان دغش
  - \* الموجة عورة / معين شلبية
  - \* كلاكما قربان / منال خميس



## بيتالجنوبي

### فى ذكرى أمل دنقل

### محمود درويش

واقفاً معه تحت نافذة، أتأمل وشم الظلال علي ضفة الأبدية، قلت له: قد تغيرت يا صاحبي.. وانفطرت فها هى دراجة الموت تدنو ولكنها لا تحرك صرحتك الخاطفة

•

قال لي: عشت قرب حياتي كما هي، لا شى، يثبت أنى حي ولا شى، يثبت أنى ميت



ولم أتدخل بما تفعل الطير بي وبما يحمل الليل من مرض العاطفة

الغياب يرف كزوجي حمام على النيل...
ينبئنا باختلاف الخطى حول فعل المضارع..
كنا معاً، وعلى حدة ، نستحث غداً
غامضاً . لا نريد من الشيء إلا
شفافية الشيء: حدق تر الورد
أسود في الضوء. وإحلم تر الضوء

الجنوبي يحفظ درب الصعاليك عن ظهر قلب. ويشبههم في سليقتهم وارتجال للدي. لا «هناك» له،

لا «هنا»، لا عناوين للفوضوي ولا مشجب للكلام، يقول: النظام المتكام الصدى للصدي. وأنا صوت نفسى المشاع: أنا هو أنت ونحن أنا. وينام على درج الفجر: هذا هو البيت، بيت من الشعر، بيت الجنوبي. لكنه صارم في نظام قصيدته. صانع بارع ينقذ الوزن من صخب العاصفة

الغياب على حاله. قمر عابر فوق

خوفو يذهب سقف النخيل. وسائحه تملأ الكاميرا بالغياب، وتسأل: ما الساعة الآن؟ قال لها: الساعة الآن عشر دقائق ما بعد سبعة

الاف عام من الأبجدية. ثم تنهد: مصر الشهية، مصر البهية مشغولة بالخلود. وأما أنا .. فمريض بها. لا أفكر إلا بصحتها ويكسرة خبز غدى الناشفة

شاعر، شاعر من سلالة أهل الخسارة، وابن وفى لريف المساكين قرآنه عربي، وهرموره عربي، وقريانه عربى وفى للا يتعدان ويقتريان: غد لا يكف عن الاعتدان «نسيتك لا تنتظرني». وأمس يجر مراكب فرعون نحو الشمال: «انتظرتك، لكن تأخرت». قلت له:

أين كنت إذاً؟ قال لي: كنت أبحث عن حاضرى فى جناحى سنوبوة خائفة...

الجنربي يحمل تاريخه بيديه، كحننة قمح،

ويمشى على نفسه واثقاً من يسوع السنابل. إن الحياة بديهية.. فلماذا نفسرها بالأساطير؟ إن الحياة حقيقية والصفات هي الزائفة

قال لى فى الطريق إلى ليله: كلما قلت: كلا. تجلى لى الله حرية.. ويلغت الرضا الباطنى عن النفس. قلت: وهل بصلح الشعر

ما أنسد الدهر فينا وجنكيزخان وأحفاده العائدون إلى النهر؟ قال: على قدر حلمك تتسع الأرض. والأرض أم المخيلة النازفة.

.

قال في آخر الليل: خنني إلى البيت،
بيت المجاز الأغير...
فإنى غريب هنا يا غريب،
ولا شيء يفرحنى قرب بيت الحبيب، البعيدة
قلت: وماذا عن الروح؟
قال: ستجلس قرب حياتي
فلا شيء يثبت أنى ميت
ولا شيء يثبت أنى مي
ستحيا، كما هي
حائرة آسفة...



# أدب المقاومة الفلسطينية بين السجن والحرية

### صبحى شحرورى

#### مقدمة عامة المقاومة الفلسطينية بين أدباء الأرض المحتلة وبعض الأدباء العرب

لابد من الإشارة ابتداء إلى أن هذه المقاومة لابد أن تتجلى في نتاجات هؤلاء الأدباء وفي نصوصهم، فأداة الأديب في المقاومة أدبه، وعلى هذا فنحن هنا إنما نبحث عن المقاومة في النصوص.

هذا الترضيح الذي يبدو أمراً مفروعاً منه مهما جداً، نقد قلت مرة: «لو ان الادب بمستوى انتماء وحماس بل ونضال وتضحيات العديد من الأدباء، لكان لدينا أدب مقاوم حقيقي»، إن المسالة مقلوبة هنا، فالأصل أن الكلام يتطاول ويمتد، والفعل محدود، ونحن متهمون بهذا دائماً وأمام أنفسنا. لكن الذي حدث ومنذ بدء احتلال عام ١٩٦٧م، أن كثيراً ممن هم كتاب، أو أصبحوا بعد ذلك كتاباً، حملوا عبه النضال ومارسوه وبخلوا السجون، وقدموا تضحيات جساما، وصمدوا صموداً عز نظيره، لكن إبداعاتهم قصرت كثيراً وكثيراً جداً عن حجم تضحياتهم، التي وصلت حد الاستشهاد، ويقينا أثناء ذلك ومن بعده نتساما، إن كان لدينا أدب سجون فعلى وذو مستوي، وهو جزء ولاشك من الأدب المقاوم، بل هو الجزء الاكثر احتداماً وارتباطأ بالتجارب النضائية.

إن الظاهرة الأساسية في الأدب والثقافة الفلسطينية عموماً، أن كل شيء يذوب ويتشتت وينفرط عقده ولا يدوم. وتواجه هذه الظاهرة ويحجمها تماماً ظاهرة اخرى، هي تفجر الطاقات على نحو دائم، وتفتح المواهب الواعدة، غير أن كثيراً من الشباب الواعدين إنتاجاً ووعياً، لا يصلون إلى غاياتهم، وتفتح مواهبهم، وتطحنهم آلة التشتيت الضخمة هذه، وتكثر الأسماء، ونضح لكثرة الأسماء حتى كان لدينا أدباء أكثر مما في روسيا، أو في أمريكا، ولكن الأسماء تتبدد جيلاً وراء جيل، ولو اننا حاولنا إحصاء غذه الأسماء منذ جيل الأفق الجديد مثلاً لكان لدينا عدر عدر عدر عدر من الأسماء.

هنّاك السغر إلى أصقاع العالم كله، وهناك تبدد الموهبة والصمت، وكأن كثيراً من هؤلاء الذين ظهرت اسماؤهم، لم يكونوا موهوبين فعلاً، وإنما الظليان الشعبي العارم، دفعهم إلى توهم ذلك، وساعدتهم الأجواء السائدة على نشر نتاجهم.

لقد سادت روح منذ الانتفاضة الأولى، تدعو إلى أن يفتح الباب للجميع كى يسجلوا تجاريهم، ويغض النظر تماماً عن المستوي، إذ لهم الحق فى الكتابة تماماً متلما كان من مسئوليتهم أن يواجهوا ويناضلوا ويضحوا ويسجنوا .. إلى آخر قائمة الألعال هذه.

وقد وجد كثير من هؤلاء ضالتهم في الصحف والجلات الكثيرة، التي كانت ومازالت هي الأخرى تظهر وتبدئ التي كانت ومازالت هي الأخرى تظهر وتموت، والتي يعد إحصاؤها مهمة عسيرة، وهي موجودة الآن أي موجود غيرها أو ما يكافؤها حجماً ولم يطرح السؤال يوماً عن المستوى إلا عند نفر قليل جداً، كان من حظهم أن يظلوا تعساء وهم يحلمون بالكيف والمستوى وسط هذا الطوفان الجارف.

لم يكن أحد أي أحد يستطيع وقف هذه الطوفان، وقد عمل الإعلام على الاستمرار في هذا الجيشان، وخضع لذلك على سبيل المثال اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة والقطاع، فأصدر العديد من النصوص غير الناضجة، ليس وحده بل الجميع ساهم إلا اسماء معدودة.

ولم يختلف الحال كثيراً في الداخل، عند إخواننا من كتاب الاحتلال الأول، واستذكر تلك الأيام، التي كانت فيها اسماء الزعماء السياسيين، ورؤساء الجبهات والحركات، مسجلة في اتحاد الكتاب، ومازلت اذكر تلك اللجنة التي عملت فيها مع الزميل محمد البطراوي والاخت حنان عشراوي، وعمل غيرنا على شطب هذه الاسماء، وخفض عدد الكتاب المتسبين للاتحاد، ولكن الأمور كانت تعود إلى ما كانت عليه بل وتزيد، واذكر أن عدد الأسماء زاد على (٢٠٠) اسم وريما أكثر.

فى السنوات الأخيرة، خفت صوت اتحاد الكتاب، وقلت النشاطات ريما لصعوبة الحركة، ولم يعد ممكناً متابعة الأمور بمثل ما كنا نتابعها قبل ذلك، وأصبح تشخيص الوضع على النحو السابق أمراً عسيراً، وأوكلت الأمور على نحو أشد، وكانت موكولة قبل ذلك، إلى المركز، القدس أولاً ثم رام الله بعد ذلك.

جريان الأحداث على هذا النحو، وبمثل هذه القوة والسرعة، جعل الكفاءات الجادة تهرب إلى

الأدب الحقيقى كما تراه، كإبداعات أولا وقبل كل شيء، وبدأت تلتفت هي الآخرى لمستوياتها ونتاجاتها، وتعمق التفات هؤلاء إلى المدارس الغربية في الأدب، التي ما تنفك تتغير وتتجدد كل يوم مستفيدة من التقدم التقنى العام.

بل وقد ظهرت دراسات محلية، حاولت أن تستفيد من هذه المدارس مشوهة مرتين، مرة بقراءة الترجمات الشوهة، ومرة أخرى بالتشويه الذي تمارسه هي نفسها فيما تستطيع الوقوف عليه واستيمايه من المشوه الذي تقرأ.

وكتت على سبيل المثال، أعلن دائماً أننى كاتب أو ناقد من الدرجة الثالثة، مادام الأدباء في الغرب ينتجون، ويعض الادباء والأكاديميين يترجمون ويشوهون ونحن من وراء نلك كله نقراً. نصل الأن إلى النتيجة للهمة من وراء نلك كله، وهي أن أدب للقاومة وهو أدب ناشئة في معظمه ظل بعيداً دون نقد، ويون تداول على الستويات الأعلى معرفة من مستوى منتجيه. وكلمة الناشئة هنا لا تقيد معناها المعروف فقد يستمر الناشئ عشرين عاماً ناشئاً، وإذا قسوت فإنك تقسو على الناشئة الكهول. أقول الحق أننى أعرف ناشئة من يوم وعينا على ذواتنا، وأوضاعنا بعد صدمة وكارثة ١٩٩٧م، وأعرف كتاباً على أبواب السبعين يكتبون بالطربقة نفسها والمستوى نفسه، ويصمون أذانهم عن كل نقد.

لماذا يسمعك الناشيخ، او هذا الكهل الناشيخ، أن تحدثت معه، او كتبت نقداً لا يجامل عن نتاجه، مادامت الصحف تفرد له صفحاتها وتنشر صورة أيضاً.

ولو أن هذا التصدى الذى يخرج عن طبيعة الدراسة الأكاديمية قطعاً كان شهادة، لقلت: إنى لم اندم على شيء مثل ندمي على عشرات المتابعات والمداخلات التي كتبتها عن أدب الناشئة المضمومين هؤلاء ويكل القسوة التي لا تجامل، ولأنها لم تؤد في نظري لأي شيء يحدم الأدب الذي أحببت، ويخدم قبل كل شيء وجه الحقيقة.

إن هذه المحاور تتناول موضوعات أو ثيمات، لم يجر فحصلها وتحليلها إلا في النادر، ووجدت أنها لا تصمد أمام النقد الجاد، ولذا ترك أدب المقاومة، إن صحت التسمية، لاشخاص لا يتقدمون بنتاجهم إلى الأمام وإلى الناشئة، وإلى بعض الاكاديميين، مع أن مساهمات الاكاديميين كانت دائماً محدودة وقاصرة.

وسيكن همى في الصفحات التالية الوثقة، إن أقف على كثير من الأمثلة عن كل هذا الذي طرحت، وبالقدر الذي لا يصبح معه هذا البحث طويلاً ومهلكاً.

ويطمح هذا البحث إلى كشف حقيقة وواقع الادب فى مواقع واماكن بعينها، بعد أن نال هذا الادب وفى العالم العربي بالذات أكثر مما يستحق، وظل لزمن طويل يعزل ما عداه، ويدارى عجزه بل وتلاشيه أحياناً.

ويطمح هذا البحث أيضاً إلى الكشف عن سيطرة بعض الأساليب حتى بعد زوال دواعيها، ربما من سمات الحياة الثقافية أنها تبقى بعد ضعف بل وزوال الواقع الذى أنتجها كما حدث تاريخياً في القرن الرابم الهجرى. وعلينا أن نسجل فوراً وراء نلك، أن الب المقاومة ينطوى على مفهوم محورى أو رثية: وهى أن الأدب يدور مع الواقع على نحو مباشر، وعلى المتصدى لهذا الأدب أن يسقط الكثير مما قرا، خاصة القول بإن الأدب ينتج الأدب فيما يعرف بالتناص، وأية نظريات أخرى حديثة.

كامله العول بين الدين يسم الماب على يعرف بعض من من المضمون، وكأن هذا الله أن إحدي السمات المهمة لهذا الأدب كما نرى هو حديثه الدائم عن المضمون، وكأن هذا المضمون لا يتغيا شكله، وكأن لا بنية النص وإنما مضامين، مضمامين وثابة كما كنا نقول، وكنت لفترة قصيرة متهما، القراءة وحدها ربما أنقدتني في آخر الأمر.

#### (ب) سمات أساسية في أدب المقاومة:

لُقُد تم استخلاص هذه السمات من مراجعة العديد من مصادر هذا الأدب، وهو في معظمه من الشمر، ربما لأن زمن الرجع في الشعر قصير، ولأن كثيراً من الناشئة يغريهم أن يصبحوا شعراء، لما للشعر من مكانة، معروفة تاريخياً، في أدب العرب.

#### ١ - الطابع التعبوى لهذا الشعر:

وعندما يكون طابع السُّعر تعبوياً، فإن الشعر لابد أن يكون متفائلاً يمثل صلابة المناضل وعدم انكساره أمام التحذيب ومرارة السجون، فلا يهن ولا يضعف، أي لا يسمح له أن يصعور لحظات الضعف الإنساني، وهذه مسئلة محورية في الأبب، اقصد توجه الابب لتصوير لحظات ضعف الإنسان، مما يبرز إنسانية هذا الإنسان.

ومن الشواهد على ذلك أن العنوان الرئيس في أحد كتب التأقد د. سمير شحادة التميمي بعد المقرمة هو (الرسالة التعبوية)(١)

ويرى أن هذه الرسالة التعبرية تتحقق في شعر كل من (المتوكل طه) و(عبد الناصر صالح) في مطالحاً من المتواتب الناصر صالح) في مطولتيهما (فضاء الأغنيات)، وإنشيد البحر) بشكل خاص.

وشعر كل من عثمان أبو غربية ويحيى حبش (صحر أبو نزار)، وهما يعملان في التعبئة رسمياً يقم في هذا الإطار كما يرد ذكره.

#### ٢ - طايع المناداة والتعداد:

وأقصد بذلك الشعر الذي يعدد الأسماء ويطوف حولها، اسماء المدن والسجون والشهداء، وكل ما يتعلق بالأدب المقاوم.

يقول المتوكل طه من ديوانه فضاء الأغنيات:

«وأقول هذا الرمل يكذب

لن أصدق غير أوجاع الفقير الصادق الثورى

في ليل المخيم والرصيف

في بدلة الكاكي

وأقلام أشاعت في الزنازين الصمود ولن أصدق غير جمهورية الأبطال في اصطبلات خيل الفارعة أو مرداون الظاهرية والحظائر في عناتا في الخيام بكتسعوت في الخيام بكتسعوت في مردو في مردو في مردو التجمع في بيتونيا في ظلام قيود عتليت الرهيب،(٢)

وثلاحظ هنا وجود قائمة بتعداد السجون.

ويرد عليه الناقد نفسه بذكر منسويات مختلفة لمن الضفة، دون أن يكون من الضعرورى بالطبع أن تكون هذه المنسويات صحيحة في الواقع:

«وتمتد رسالة المتوكل التعبوية إلى فلسطين كلها أرضها وبياراتها ونخيلها وسجونها يذكر مقاهى جنين، ونخيل غزة وأريحا، وجبل النار والأغوار، ويرتقال قلقيلية، والميرمية والزيتون فى رام الله والبيرة والقدس، وكروم العنب فى الخليل، واوز حلحول، وليمون طواكوم، ومساكب عنبتا، وزيت بير زيت وسلفيت، والصليب فى المهد ومارسابا، وكنائس بيت جالا، والصلاة فى الاقصى، (٢).

وهناك ترابط واضح بين هاتين السمتين، ويعد المؤلف نفسه السجون فإذا هي أربعة عشر سجناً والمخيمات فإذا هي أربع وعشرون داخل فلسطين وحدها.

إن العد طريقة في التكثير وإظهار اتساع الوطن.

ومعروف أن الشاعر المتوكل طه ذكر قائمة باسماء الشهداء في نهاية ديوانه (فضاء الاغنيات). وفي إطار البحث وراء الاسباب، افاد الشاعر عبد الناصر صالح أن الكثير من هذا الشعر كتب في ظروف صعبة في السجون، خاصة عندما تأتى الأخبار متأخرة عن استشهاد القادة أو الأصدقاء، ولاشك إن الامثلة المذكورة جاءت في النتاجات المبكرة اكثير من الشعراء.

غير أن هناك شعراً أنضج تظهر فيه أسماء بعض المدن بدون هذه القوائم الطويلة، يقول الشاعر (سليمان دغش)(٤) من المغار في الجايل الشرقي ما يلي:

> «يرحلون الآن عنا ولنا صحو قليل كى نغنى

> > للفدائي

الذى يحمل من خمسين عام قلعه الدامي

ويافا

للأمام»

فيذكر يافا في إطار الحديث عن البحر، ثم يذكر القدس في إطار إشارته للسماء.

«يرحلون الآن عنا

ولنا صحو قليل

کی نغني

للذ*ي* اعلا بلاداً

للسماء

ومضىى للقدس

مثل الأنبياء،

ويقول القاص (عمر حمش)(٥) من قطاع غزة في قصته (عن راشد وحزيران والمخيم) على لسان شخصية شيخ في القصة (استعدوا يا عالم للرجوع – الذي من يافا إلى يافا، الذي من للجدل إلى المجدل، الذي من أسدود إلى اسدود).

وهناك شـمراء نالوا حظاً أكبر من الشـهرة، فالشـاعر عـز الدين(١) مناصـرة يذكـر الكرمل والخليل والشام وبغداد والقدس في قصيدته (مهنة حرة).

 ٣ - وترتبط بهذه السمة سمة أخرى، هى أن هذا الشعر يوظف التراث الدينى والتاريخي والوطني الشعبي:

بل يمكّن القول إن السمة الثانية يمكن إن تنبغل بكليتها في هذا الإطار، والأمثلة كثيرة جداً، وسيطول البحث إن حاولنا الوقوف عليها كلها أو معظمها.

ومن هذا ديوان كامل لصخر أبو نزار(V)، حيث يذكر آية من القران الكريم في مقدمة كل قصيدة ثم يورد قصيدة من وجي هذه الآنة الكريمة.

واحب أن أعلق على كون الديوان مطبوعاً ثلاث مرات، بأن الديوان يمكن أن يكون قد ورع على كوادر بعينها.

وقد أشرت في دراسة لى لم تنشر، لى أن شعر البدايات عند المتوكل طه يقوم على بنى دينية، ومعنى هذا أن المسألة تتجاوز توظيف التراث، ليصبح الشعر، شعر المقاومة هذا في الفالب غير قادر على الاعتماد على نفسه كبنى بالتحديد فيرتمى على بنى جاهزة. ولكن الحال يختلف غير قادر على الاعتماد على نفسه كبنى بالتحديد فيرتمى على بنى جاهزة. ولكن الحال يختلف قليلاً أن كثيراً حين يعمد الشاعر – في تجارب أنضج – إلى اختيار واقعة تاريخية يعلق شعره عليها كما فعل المتوكل طه نفسه في ديوانه(٨) عن البرامكة، ويمكن لدراسة أخرى أن تجلو سر

هذا التوظيف، فهناك إذن توظيف واتكاء.

واتكاء الشعر الرومانسي على الطبيعة معروف والشاعر عبد الناصر صالح في ديوانه(^) الأخير يخصِص قصيدتين للنيل، ريما بسبب زياراته المتكررة لمصر.

كما إن الشاعر الفلسطيني المعروف هارون هاشم رشيد سمى احد دواوينه(١٠) (طيور الجنة) وهو (قصائد للشهداء).

#### ٤ – ذكر المضامان:

وكأنها تقوم هكذا وحدها دون أشكالها، مع العلم أن المضمون يتغيا شكله، وأن هناك بنية للنص لا يمكن فيها فصل أحدهما عن الآخر، فالسيد (زاهر الجوهر) يرى في كتابه (شعر المعتقلات في فلسطين)(١١) أن المضامين تقوم وحدها ويضع عنواناً كبيراً بذلك، بل ويفرد لذلك باباً، وكأن المسألة تشبه أغراض الشعر العمودي القديم من رئاء وفخر ووصف .. إلخ. وها هي مجلة الجديد (١٢) تسأل بين أسئلة أخرى السؤال التالي لبعض الكتاب: «ما هو تأثير الانتفاضة على القصيدة شكلاً ومضموناً؟» ويرد فهد أبو خضرة قاتلاً: «إذا بدأنا بالمضمون». ومعنى ذلك أن هذه المجلة بما تمثل تقول بفصل المضمون والشكل عن بعضها حتى في عام 1910.

#### ٥ – الرمز القريب:

ونقصد بذلك استخدام الشعراء لرموز قريبة معروفة مثل تشبيه القائد بالربان او الإشارة إليه على أنه كذلك، كما في دواوين المتوكل طه الأولى(١٣).

وكذلك شبه الشاعر عز الدين مناصرة(١٤) عدوه بالأفعى التي لا ترحل إلا بقطع راسها.

ويبتعد سليمان دغش(١٥) أو يرتفع بهذا الرمز قليلاً حين يرى في (يافا) المهجورة (هاجر) إذ يقول:

> هل أنت/ هاجر/ كى يهاجر فى إسماعيل/ من بلد / إلى بلد ومن / زبد/ إلي/ زيد/ ويحملنى القطار/ إلى محطات الرحيل النورسي/

فهل نعود/ مع الصهيل/ وهل نعود/ مع الهديل/ وهل نعود/ على الغروب؟!!
ومن الرموز التى تستعمل بشكل عام فى إطار شعر المقاومة الفلسطيني، استعمال كلمة
خارطة للدلالة على الوطن حتى إن أحد الشعراء(١٦) أدخل هذه الكلمة فى عنوان أحد دواويته
وكلمة ناقرس، والناقوس يقرع بالطبع منذراً بالخطر الداهم الذى يواجهه الوطن وسيهاجمه.
ورمز الناطور الذى يحرس الوطن، وهل مثل الناقوس ينبه الناس للخطر الداهم الذى يتهدد

وهناك ذكر النوارس، تلك الطيور البحرية التي يرمز ذكرها إلى الرحيل.

والرصيف رمز قريب لما هو هامشي، وقد أفرد الشاعر الفلسطيني المعروف مريد

```
البرغوثي (١٧) ديوانا كاملاً لـ (قصائد الرصيف).
         واستخدم في هذا الديوان رموزاً قريبة من أدب المقاومة مثل (السياج) حيث يقول:
                                                     معداً عن الغرقة الداقئة
                                                    قريباً من الانفجار الوشبيك
                                                     وفي داخل اللحظة المفرعة
                                                                         فتي
                                               مالّ للأرض، مخترقاً بالرصاص
                                                       ومال السياج معه،(۱۸)
                   "٢ - كثيراً ما تظل القصائد هذا أسدرة التركين على جذر واحد
ويتمثل ذلك بتكرار مطالع الأسطر، وتراجع هذه الأسطر فتجد أنها تعطى المعنى نفسه مع
                                          انزياحات ضئيلة، يقول عبد الناصر صالح:
                                      «سينمضي إلى صوتهم في أقاصبي الكروم
                                                 سنمضى إلى حنطة الذكريات
                                              ستمضيي إلى أول الطلع في دمهم
                                                         وستمضى البناء(١٩)
                     ويمكن لهذه السمة أيضاً أن تتحقق من خلال تكرار (٢٠) واو العطف.
ومثل ذلك يتسامل الشاعر سليمان دغش(٢١) من الجليل في أول كل مطلع من قصيدته
                                                    (أيوب) مكرراً عبارة (هل أنت).
                                           هل أنت/ درتي الوحيدة/ والفريدة».
                                     دهل أنت/ هاجر/ كي يهاجر في إسماعيل،
                       «هل أنت/ أندلسي» لأصبح مرة أخرى/ غريباً/ أو حبيباً».
             «هل أنت/ خارطتي/ لابني فيك أجمل دولة/ بمساحة القلب الصغير».
                                   وتلاحظ هذه الظاهرة، داخل هذه القاطع نفسها في
                                        «الوحيدة والفريدة»، ويغريباً أو حبيباً».
                         ويتكرر ذلك في قصيدته «قرار البحر.. (٢٢) وعاصفة الغضب...»
                                                             إذ بكرن كلمة «لك»
                                                       «لك/ أن تنامي في دمي»
                                                        «لك/ أن تزفي الأنساء».
                                                               دلك أن تحجى».
                                             «لك أن تنامى في دمي». مرة أخرى.
                    وإذا ما نزلنا إلى تجارب أحدث، وجدنا ذلك يتكزر في كل سطر تقريباً.
```

إن الشاعر هنا لا يجب أن يغالبر موقعه الذي ألفه، فيظل ينوع على جذر واحد إن كان متقدماً، أو يكرر ذلك في كل سطر في تجارب أولى.

وها هو الشاعر نزيه خير (٢٣) في إصراره على أن لا شيء يغير المقدسات يكرر: -

«لا شيء يغير وجه القدس

ولا شيء يغير وجه الله،

وبعد ثلاثة اسطر يكرر السطرين السابقين للتأكيد، ثم يكررها للمرة الثالثة، كما أن عنوان القصيدة (لا شيء).

وكذلك يفعل مريد البرغوتي (٢٤) في قصيدته (الشرفة) إذ يكرر كلمة (شرفة):

«شرفة و إسعة/ شرفة و أسعة/ شرفة لا مراة/ شرفة للأصدقاء».

والحال هنا يختلف قليلا أو كثيراً، ذلك أن ديوان (قصائد للرصيف) يمتلئ بعناوين (أشياء) يريد الشاعر أن يجلوها مثل: الشرفة، الرصيف، السياح، الساحة، فالقصيدة هنا · واضحة.

إن كل شيء مهدد أن يطير، أو يضيع، فالشاعر يبذل جهده هنا في التأكيد والتشبث مع التنويم عند الشعراء الأعلى مستوى، وبون تنويم عند من هم دون ذلك.

ونجد هذه الظاهرة في ديوان (آمل دنقل)(٢٠) (العهد الآتي) إذ يصاول التاكسد على الاستثناءات:

«أما اليسار فقى العسر» إلا الذين يماشون/ إلا الذين يميشون/ إلا الذين يشون/ وإلا الذين يوشون، أي يستثنى من اليسار أولئك المتعاملين مع السلطة.

ومع أن قصائد (محمد لافي)(٢٦) قصيرة إلا أنه يلجأ إلى التكرار، إذ يقول في تساؤل وتعجب:

ووازت الخطوات نحو بلاغة خانت

لن كتبوا رسائلهم؟

الن عبروا سجوف الليل ركضاً في مقاتلهم،

لمن هتفوا على حد السدى: (يا خالنا هانت)

ولم يرتج صوب الأفق باب؟!

ولمن هذا رفعوا الحياة على اكفهم لينتصر الخراب؟!

#### الهوامش:

- (١) سبمير شحادة التميمي، الرسالة السياسية في شعر الانتفاضة، دراسة نقدية، القدس، دار العودة للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩١، ص٩.
  - (٢) ص ٢٨ من للصدر السابق.

- (٣) ص ٣٠ من المعدر السابق.
- (٤) سليمان دغش: على غيمتين/ شعر، نابلس دار الفاروق، ط١٩٩٧،م، ص٧٥ -٥٩.
  - (٥) عمر حمش: عن راشد وحزيران والمخيم، الكاتب، عدد ٧٥، تموز ١٩٨٦م، ص٩٧.
- (٦) عز الدين مناصرة: يا عنب الخليل/ مجموعة شعرية، إربد دار قدسية النشر والتوريع، ١٩٩٢م.
  - (٧) صخر أبو نزار: السيوف قصيدة مؤسسة العنقاء للتجديد والإبداع،ط٦، ١٩٩٦م.
    - (٨) متوكل طه: حليب أسود شعر، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط١، ٩٩٩١م.
- (٩) عبد الناصر صالح، فاكهة الندم/ شعر، رام الله بيت الشعر، ط١، ١٩٩٩م، الفقيدتان
   هما مرحباً أيها النيل ص ١٢ ١٦، عنوانها الماء ص ٢٧ ٣٢.
- (١٠) هارون هاشم رشيد: طيور الجنة، قصائد للشهداء، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٩٨٢م.
- (١١) زاهر الجوهر: شعر العتقلات في فلسطح ١٩٦٧ ١٩٩٣م، رام الله بيت الشعر،
   ط١، دون تاريخ صدور ، الباب الأول/ الضامن الشعرية، ص ٤٥.
  - (۱۲) الجديد، العددان ۱۲٬۱۱/۱۹۹۰م، مجلد ۲۹،ص۲۳.
    - (١٣) مصدر ١ ص ٥.
    - (١٤) انظر مصدر ٣ ص ٧ الديوان ص ٢٠.
    - (١٥) مصدر ١ ص ٧. ص ١٩ ٢٠ في الديوان.
  - (١٦) عبد الناصر صالح، سمى أحد دواوينه خارطة للفرح.
- (١٧) مريد البرغوثي : قصائد للرصيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عمان، ط١، ١٩٨٠م.
  - (۱۸) المندر السابق، ص ۱۶ ۱۰.
- (١٩) عبد الناصر صالح: فاكهة الندم: شعر، بيت الشعر، ط١، ١٩٩٩م، ص٦، قصيدة فاكهة الندم.
  - (٢٠) يلا حظ تكرار واو العطف في القصيدة نفسها.
  - (٢١) مصدر سابق ٧/١، ص ١٧ ٢١ في الديوان.
    - (۲۲) نفس المعدر ص ۲۵ ۳۱.
- (٣٣) نزيه خير: ورثت عنك مقاوم النهوند، القاهرة الهيئة المصرية العامة الكتاب، ١٩٩٨م، من قصيدة (لا شيء) ص ٢٤ – ٣٧.
  - (٢٤) مصدر ٢/١٠، القصيدة الأولى في الديوان.
  - (٢٥) أمل دخقل: العهد الآتي، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٧٥م، قصيدته صلاة، ص٧-٩.
- (٢٦) محمد لافي: مقفى بالرماة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، قصيدة (هم) ص ٦٩.

## دراسة

## أغنية الشعب، هوية الوطن

### ريهام زين العابدين

الأغنية الشعبية هي قصيدة غنائية يتداولها الناس في الوسط الشعبي ويتوارثونها في مناسباتهم الاجتماعية، وقد تكون هذه الأغنية مجهولة النشاة(۱) ، ظهرت بين أناس أميين في الأزمان الماضية، ولبثت تجري في الاستعمال، لفترة من الزمن، أو معروفة النشاة كما أنها تعتمد لحناً شعبياً قديماً، وتمتاز باعتمادها اللهجة العامية، والوصول بمضمونها الشعبي إلى أعماق الناس، وانتشارها بينهم، ويدخل ضمن هذا النوع كل الوان الشعر الشعبي، إضافة إلى الأغاني الفولكلورية (العتابا/ الميجنا/ الدعونا/ ظريف الطول)(۲).

فهل تمكنت الأغنية الشعبية من الإسهام فى الحفاظ على الهوية الفلسطينية؟ بعد أن كادت تقوض مع ما تقوض من بنى فلسطينية (اقتصادية/ اجتماعية/ سياسية/ ثقافية/ ونقابية)، ويفعل تقوض الأخيرة، تحت مطرقة نكبة ٤٨، وتداعياتها الكارثية.

ظلت الهوية الوطنية الفلسطينية مهددة بالتبدد، لولا أن تضافرت جملة شروط، أسهمت بدور ملحوظ في حماية هذه الهوية مع تفاوت في الدرجة على أن ما يهمنا هنا هو الدور الذي حملته على عاتقها الأغنية الشعبية في هذا الصدد.

#### بث الأمل

على مدى سبع سنوات من النكبة عاش المواطنون الفلسطينيون أوضاعا متردية للغاية، فيما فقدوا الأمل في احتمال تحرير وطنهم وعودتهم إليه وانتشرت في هذه الفترة (١٩٤٨ – ١٩٥٥) أغان بعينها، حاولت الاستجابة لاحتياجات هذه الفترة. نرى أن أغاني الصغار مثل أغنية العسكر:

درب العسكر طوط طوط واحنا رايدين على بيروت(٣) وأغنية الطاقية:

طاقسيتين بعلية حيول واركب ع الفرس فلسطين عسريية (٤)

طاق طاق طاقــيــة رن رن یا جـــرس طاق طاق طاقــیــة واغنیة الجمال:

سنرقولك جسسالك ما يسمع كلامك(٥)

جــمـــال ابن جـــمـــال ســـيـــفي تمت راسي

تحوى أغنيات الأطفال سالفة الذكر قيماً إيجابية، مثل الإقدام، اليقطة، وعروبة فلسطين، كما أن الأغانى التى طالما أنشدت فى المسيرات والمظاهرات نبضت بالحماس، وأكدت على الحرية، كمطلب سام:

يا عرب كنونوا أحرار لا ترضوا العيشة بالذل يا بننبح شعب الكفار يا من هالديره بنفل الله على عنام جنة ونار يا مؤمن بأفكارك حل يا بتضلك تحت الذل(٦)

#### فيما تواسى أم الشهيد، وتحفرْ أم الأسير:

يا أم الشهيد زغرتي كل الشهيداب أولادك

ويا أم الأسميس تمردي المصوت ولا المستلسة(٧)

ومدح المتطوع للجهاد:

ع المستـــطـــوع والله لا بدع وأقول على المطوع طوعنى مســـعك يا رايح متطوع طوعني معك (٨)

خلفية تاريخية

استطاعت الأغانى والأشعار الشعبية أن تنفذ إلى قلوب الجماهير الفلسطينية، وتعبر عن امالها والامها، في حين لم تستطع الأحزاب السياسية التي كانت موجودة أنذاك في فلسطين، أن تؤثر في المجتمع الفلسطيني، إذ كانت عاجزة عن تحليله وعن إسقاط مفهوم العشائرية والعائلية من حياة مجتمعها، حتى إن كان للتناحر فيما بين الأحزاب مردود سيئ على ثورة ١٩٣١، وفعاليتها، عبر عنه هذا المقطع:

يالله يا رجال الأحزاب تتناسوا الاحقاد الشخصية

أفراد الشعب تطالبكم والأقصى يحلفكم

تبقى وحدة كلمتكم جمعا لاضلاص النية (٩)

#### كما طعمت «الدلعونا» بمعان ثورية:

يما ويايما اعطينى رشمساشي طلبستنى الثمورة والصسبح ماشي عمفت الوظيفة وعمفت المساش تصرير الوطن أغلى ما يكون(١٠)

ساندت الأغنية الشعبية ثورة (١٩٣٦-١٩٢٩) ثورة الشعب شبه الأعزل، الستنفر ضد قوات الانتداب البريطاني تؤازرها العصابات الصهيونية، ووضحت تلك الثورة مدى حماس الشعب العربي الفلسطيني للكفاح، واستعداده للنضال:

وسجل يا قرن العشرين ثلث سنين بالليـــالي واحنا بروس الجــبــال

ع اللي جسرى بفلسطين مسا نمنا بالعسلالي للصرب مستعدين(١١)

على الرغم من الظروف القاسية التى أحاطت هذه الثورة العربية الكبرى ففى سنة ١٩٣٦ وإثر نشوبها أصدر المندوب السامى البريطانى قانوناً خاصاً (نظام الطوارئ) لسنة ١٩٣٧، منح سلطات الانتداب البريطانى صلاحية اتخاذ الإجراءات الضرورية لمواجهة الثورة - إلا أنه فى سنة ١٩٣٧ عندما بدت الثورة قادرة على الصمود والاستمراد.

واتضح أن الصلاحيات التى ينص عليها «نظام الطوارئ» لسنة ١٩٣٦ غير كافية للتصدى للثورة، منحت الحكومة البريطانية سلطات الانتداب البريطاني صلاحيات واسعة أحرى لسحق الثورة. (١٢).

مع نلك لم يكف الشاعر الشعبي المناضل نوح إبراهيم، صوت الثورة وضميرها، عن حث الجماهير، على تنوع عقائدها وتوجهاتها، للنضال والإصرار على حماية الوطن من الاستعمار البريطاني والصهيونية المتسللة:

تحيا الأمة العربية من إسلام ومسيحية هبوا يا أهل الحمية واحموا الوين(١٣) غير متناس عروبته، التي يستمد منها الشجاعة، وعزة النفس، والتضحية بها في سبيل الوطن:

أنا العربي يا عيوني عند المدوت ارمسسسسسوني يمحى اسم الصهيوني لأحمى بلادى فلسطين من كيد المستعمرين(١٤) كما قده أبد العد أطهاة الباسمة للمحاهدين الذين أثن قوا في سماء

كما قدم إبراهيم أطواق الياسمين للمجاهدين، الذين أشرقوا في سماء الثورة، امتناناً لما قدموه من فداء، وخاصة الشيخ عز الدين القسام:

عـن الدين يا خسارتك يا شهيد فلسطين(١٥)

# وايضاً، حيا صلابة بحارة يافا، في عام ١٩٣٦، المضربين عن عملهم في الميناء، قائلاً:

في الإضراب ضحوا كتير واجبهوا الأمر العسير

وكانوا مثل الجميع من كبير ومن صغير(١٦)

لكن نوح إبراهيم لم يكن وحيداً في ساحة التحريض، إذ كان هناك شاعر يتخذ حب فلسطين ديناً، يدعى عبد المنعم، ويحلم بيوم الثار من الاستعمار:

فلسطين الأبيسة لن تلينا وتضضع أيها الستعمرون

الا فليعلمن «جونبول» إنا تخذنا حبها القديس دينا(١٧)

قصيدة أخرى: •

أما إن التصرر من قيود أغلت ها أياد من حديد

وهلا أذنت ساعات ثأر لنثأر منك ناكشة العهود (١٨).

نستشف من هذه الأغانى والأشعار، نجاحها فى تخطى «نظام الطوارئ» الذى يحجم التعبير عن الآراء، وأن تكون وقوداً يزيد الثورة تحدياً وصموداً. وهذه الفترة ليست منفصلة عن المرحلة التى تلتها نكبة ٤٨ إذ كانت للمرحلة الأولى مقدمة النكبة وما تلاها.

#### تشريد وإصرار على العودة

سلمت نكبة ٤٨ الفلسطينيين إلى أوضاع شديدة القسوة، اتسمت بالتهجير من المدن والقري، ومصادرة الأراضى الزراعية، فأصابت الفلسطينيين صدمة عنيفة، وغمرتهم مشاعر الحزن والمرارة، وجدت مننفساً لها في الأغاني الشعبية، التي سجلت ماسي النكبة، حتى ارتقت إلى منزلة الوثائق التاريخية، منها هذه المقاطع:

طلعنا من أرض الضيرات وحلت علينا اللعنات ضحيحيا أهالينا وصحرنا «سحال بالحارات وعلينا جحار الرمحان الأحران غدرك في الأرض معفروس الازم نرجمعاها عروس(١٩)

وأخرى تصور أيام الخيام، والإحساس بالمهانة، التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، جراء هذه النكبة:

تقصلكم صديثى مع مشالي عن العاشة وإحسان الرجال(٢٠) برب البيت يا أهلى اسمعولي وعيشة ذل في الخيمة وسؤال

وتحرير الوطن علينا أمانة بدنا وطنا أحسن ما يكون(٢١)

شعبك يا فلسطين ما يهمه خيانة ما بدنا إعاشة ولا إحسان

كان يصعب على الفلسطينيين قبول هذا الواقع – مجتمع المخيمات – واستجداء وكالة الغوث . صور ذلك الشاعر عبد العزيز كتكت في قصيدته:

جسينا وبشسرنا الأرزاق في الخسان بنشسسد طحين تاجانا السينة والسربين وحسار استنا الجشين(٢٢)

قدر علينا الخداق شرينا علقم ما بنذاق وصرنا نبشر بعظنا وظيعنا الاسم العتيق

دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين، وحققت انتصارات مهمة فى البداية، ولكنها توقفت ، بسبب تخائل الأنظمة العربية، وتقاعس الحكام، ودعم الغرب الاستعماري لإسرائيل، وتوقيع الهدنة ، فاتجه المغنى الشعبي باللوم إلى الجامعة العربية، المثلة للأنظمة العربية:

لومى ع الجامعة ما تمننا بسلاح إحنا علينا الحرب وجيوشها ترتاح(٢٢) لذلك حمل الشاعر الفلسطيني المشهور المخضرم، عبد الكريم الكريم (أبو سلمي) الشعب الفلسطيني مسئولية تقرير المصير:

فــــالحق من نور ونار ترى ابناها خلف الســتـار أمنت من شــر العــثـار لا من يبصمون على القرار(۲٤) سيروا على وضح النهار تأبى البطولة أن يا أيها الشعب النبيل قصرر مصصيرك أنت حيث أسفرت نتائج حرب ١٩٤٨، واتفاقيات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية، التى تبعتها عن تسلط إسرائيل على ما يقارب من عشرين مليونا ونصف المليون دونم من مساحة فلسطين، باكملها، وبالتالى الاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضى . للعربية التى يمتلكها أصادً العرب الفلسطينيون الذين طردوا من مدنهم، وقراهم، أو تركهها بسبب الحرب أو على إثرها(٢٥).

فلسطان عبر الوحدة

كان اندلاع ثورة ٢٣ يوليد/ تموز ٢٩٥٢ في مصر إيذاناً ببدء عهد جديد، اتصف بالترنح إلى التحرر من أغلال الاستبداد والاستغلال، وبشر بجلاء الاستعمار، لذلك تجاوب الفلسطينيون، أشد التجاوب مع الثورة وكل الثورات التي تتابع اندلاعها في البلدان العربية، التي كانت ترتح تحت وطاة الاستعمار. كما أن ثورة يوليو/ تموز حققت حلم الجماهير المتعطشة لظهور بطل قومي ذي كاريزما، تخلب الألباب ويحقق حلمها في الخلاص من حياة الاستعباد، في شخص الرئيس جمال عبد الناصر إذ كان عبد الناصر مناهضاً لخلف بغداد فهتفت الجماهير الشعبية الفلسطينية متعاطفة معه:

عـــز العــروبة لجــمــال والذل لنورى السـعـيـد(٢٦)

توج عبد الناصر هذه السياسة الوطنية القومية «بصفة الأسلحة التشيكية» فى ٢٧ سبتمبر/ أيلول ١٩٥٥، التى نقلت المعركة مع الاستعمار من السلبي إلى الهجومي المنيف. وكانت هذه الصفقة انعطافة كبرى في تاريخنا القومي، كما قام عبد الناصر بتشكيل الوحدات الفدائية في غزة إبريل/ نيسان ١٩٥٥، أو كل قيادتها للبكباشي (المقدم) مصطفى حافظ، قائد المخابرات المصرية في قطاع غزة انذاك. وقد تمكنت هذه الوحدات من قتل زهاء الف وأربعمائة إسرائيلي في بضعة اسابيع فهزت الأمن الإسرائيلي من جذوره، ولم ترتح الحكومة الإسرائيلية، إلا بعد أن تمكنت من اغتيال حافظ في ١١ يوليو/ تموز ٢٥٩٠(٢٧) فجاءت صورة الرئيس جمال عبد الناصر مشرقة في وجدان الشعب الفلسطينية، ومدافع عن حقوقه ، وأمله في التحرير والعودة:

هبت النار والبارود غني تسلم لينا يابو خالد يا حامى ظعنا هبت النار من عكا للطيرة تسلم لينا يابو خالد يا حامى هالديرة(٢٨) كما صور الشعر الشعبي عبد الناصير بأنه خليفة صلاح الدين الذي سيكمل طريق العرة والكرامة:

بعد صلاح تشتتنا وضعنا حتى أتى الأسمر على القمة وضعنا

وإذا نسينا وتجاهلنا وضعنا مصيبة كبيرة ليوم الحساب (٢٩)

ازداد تألق نجم عبد الناصر بعد تأميمه لقناة السويس (٢٦/٧/٢٦)، وانتصاره السياسي، إثر فشل العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة خريف سنة ١٩٥٦. كان لهذه الأحداث كبير الأثر على الشعراء الشعبيين في الأرض المتلة، وعلى رأسهم الشاعر الشعبي عبد العزيز كتكت إذ نجد في مروياته ابياتاً تسجل شيئاً من أحداث العدوان:

> سنة الست مقدسسين أي سيووا تدابيس ولاة\_\_اهم جـــمــال في دق النفـــيــر

قـــاله با إيدن تقـــهـــقـــر لورا أنا عندى سيسلاح الروس وعن المسرب لومي ارجع يا مسعكوس وعساود ع الميساه(٣٠)

على يورس عرب عاينولوا القناة

ترددت أصداء الأحداث، أيضاً، في المواويل الشعبية، التي عقدت بينها ويس أمال الشعب الفلسطيني، في التصدي للصهيونية، وتحرير الوطن، والعودة:

> ما هاب الغرب شعويها وأممها المؤامنرات أبو خالد أمامها

> وعلى كل الغرب سكر الياب(٣١) قناته هب وبجيشه أممها

لم يدع الشعراء الشعبيون الفلسطينيون فرصة هذه الأحداث تمضي دون إلهاب حماسة الجماهير، وتوجيه التحية إلى مصر، التي أنزلوها منزلة الأم، ومدح الزعيم، الذي طال انتظاره:

لولا جمال ولولا مصرنا عرب أحرار بالدنيا يا مصرنا

وأسوأ مصير بتقرر مصيرنا لولا عمالقنا الأسمر وبس(٢٢)

تأثر عرب ٤٨، وقتها، وتأثرت السلطات الإسرائيلية معهم، بالحوادث التي كانت تجرى في المنطقة، فاتحاد مصر وسوريا (١٩٥٨/٢/٢٢) الهب حماسة عرب ٤٨، ويعث فيهم شعور الاستخفاف بالسلطة الإسرائيلية.

حيث إن الأقلية العربية، التي بقيت في إسرائيل، كانت صورة مصغرة للشبعب

العربى الفلسطيني، وينطبق عليها الكثير من الأوصاف التي كانت تميز العرب في فلسطين(٣٣).

> إسرائيلي روح لجروحك داوى لها بنى صهيدون فلتسقط دولها مناحل هذه المحدة المحدة ح

من أجل هذه الوحدة المجيدة جاءت الأشعار تفتخر بالعروبة وتعيد للأذهان امجادها السابقة:

> رجال العرب حطوا الصنفن بعود كسريم الرب ع الأوطان بنعسود

وضواسر طعنوا الأعداء بعود وعلمنا فوق شمخات الهضاب(٣٥)

طيبول العبري قيد زادت دوي لهيا

وتعيش الوحدة ما بين العرب(٣٤)

صفى كاسى بعد حزنه وراق ومثل السرو عما يفرع وراقي مجدنا يالعرب عالى وراقى بقدرة ربنا وجيش العرب(٣٩)

وصلت تلك الحماسة قمتها، خلال شهر يوليو/ تموز من تلك السنة بعد الثورة في العراق، التي صادف قيامها الاجتماعات والمداولات التي كانت تجرى لإقامة «الجبهة الشعبية» مما أسهم في دعمها، وهذه «الجبهة الشعبية» (العربية) – كما يدل أسمها – لم تكن إلا تجمعاً من الغرب، قوميين وشيوعيين، هدف، أساساً، العمل لمعالجة الشكلات الداخلية التي تواجه عرب ٨٤. فقد تعهدت الجبهة ، بموجب الدستور الذي اعدته لنفسها بالعمل لإلغاء الحكم العسكري الذي رزح عرب ٨٨ تحته، حتى خريف اعدته للفساء واوقف مصادرة الأراضى العربية، وإرجاع الأراضى المصادرة إلى أصحابها، وإلغاء التميير العنصري ضد العرب، واستعمال اللغة العربية في جميع الدوائر الرسمية، والعمل، أيضا بالإضافة إلى هذه الأهداف لعودة اللاجئين العرب إلى ديارهم(٢٧).

اعتبرت السلطة الإسرائيلية كل تلك التطورات عوامل مشددة تصلح ذريعة لرفع منسوب القمع للعرب هناك، خصوصاً بعد أن اكتشفت إسرائيل، وقتها عدة شبكات أقامها شباب عرب، كانت تعمل بحماسة بدوافع قومية لمسلحة المخابرات العربية، كذلك لوحظ فى أثناء تلك الفترة هروب الكثيرين من الشباب العربى إلى الدول العربية المجاورة، ورجوع العديد منهم إلى إسرائيل، القيام بأعمال معاذية للحكم الاسرائيلي.

من جهة أخرى حفزت تلك الظروف والضغوط الداخلية والخارجية الحكومة الإسرائيلية على إعادة النظر في سياستها تجاه العرب، وإلى التخفيف منها(٣٨). تشبث الفلسطينيون سواء في الداخل أو الخارج، بالوحدة الشاملة بين العرب واعتبروها طريق التحرير لكل الأقطار العربية، وعلى رأسها فلسطين، فالوحدة كانت الفضاء الذي يتسع للزمال العريضة:

الله مقدريا عرب وبالوحدة النجاح واتوحدوا يا عـرب فى سـلاح الكفـاح عـدونا مـا يهمه تكديس السـلاح وما يهمه غير الوحدة والإيد القوية(٣٩)

نكست أعــــلامــهم إلا علمنا وقسال الشـعب يا فــرحــة علمنا ويوم الكرامــة رفــعنا علمنا وعلى إســرائيل طاب الموت طاب(٤٠) إلىّ أن حدث الانفصال بين سوريا ومصر (١٩٦١/٩/٢٨)، وحول الآمال العريضة إلى إحباطات مريرة.

#### تشقق النظام العربي

انحسى توهج عبد الناصر، نسبياً، ومعه تراجع شعار «الوحدة طريق تحرير فلسطين». كما أن عبد الناصر بخل في عداوات مع بعض القوى السياسية (البعثيين والشيوعيين) مما أثر سلباً، على شعبيته في الأوساط الفلسطينية(٤١).

إلا أن هذه الخلافات العربية – العربية، ويزوغ التشققات في النظام العربي، أدت إلى خروج الكيان الفلسطيني إلى الوجود، حيث ارتفع شعار «لا عودة لفلسطين إلا بوضعها في يد الطلبعة الثورية»، فشعب فلسطين تقع على عاتقه المسئولية الأولى في المعركة بقدر ما تتحمل الأمة العربية مسئولية مشاركته، فد «ابنا، فلسطين أولاً»، أما العرب فد «مشاركة»، وفق ما يحدده أبنا، فلسطين. ومن هنا يجب الفصل بين الدولة القومية التي تعتبر قضية فلسطين جرءاً من مسئوليتها التاريخية، وبين دور الفلسطينيين الطلائعي، ويعنى ذلك رفض أن ترتبط قضية فلسطين بقضية الوجدة الشاملة، على الساس أن الوحدة قد تأخذ وقتاً طويلاً حتى نتم من دون أن ينفى ذلك أهمية الوحدة المسلمين بالنسبة لقضية فلسطين (٢٤) المحدة المسلمين بالنسبة لقضية فلسطين (٢٤)

تأسس الفرع القطرى الفلسطينى لحركة القوميين العرب، أولخر عام ١٩٦٤، الذى تأخر ظهوره بسبب أنحياز الحركة التام إلى سياسة عبدالناصر، ومواقفه من مسالة الكيان الفلسطيني. أصبح هناك فرع فلسطيني، وقيادة فلسطينية مهمتها العمل الفلسطيني، والتهيئة للكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية، وإعداد مقاتلين، وتدريبهم.

بورة ي بعت الوطن بالفلوس

نجح الفرع الفلسطيني للقوميين العرب، تبعاً لذلك في هذا العام، بتسريب أول مجموعة فدائية إلى إسرائيل(٤٣). ربما كانت هذه الأغنية خير معبر عن هذه المرحلة التاريخية، رددتها الجماهير الفلسطينية بحناجر ملتهبة.

أنسا يسا أخسى أمسنست

بالشحب المضيع والكبل

وحسمات رشساشي

لتحمل بعدنا الأجيال منجل.

#### المراجع

- (١) نمر سرحان ، موسوغة الفولكلور الفلسطيني، ط٢، عمان ، ١٩٨٩، صـ٥٠.
- (٢) يوسف حداد، المجتمع والتراث في فلسطين قرية البصمة، ط١ منظمة التحمرير.
   الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٨٥، صـ٣٢٠.
- (٣) عوض سعود عوض، دراسات فى الفولكلور الفلسطينى ، ط١، دمشق منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والثقافة، ١٩٨٣، ص-٢٠
  - (٤) الصدر نفسه، صـ ٦٠.
  - (٦) نمر سرحان ، موسوعة.. مصدر سيق ذكره، صد ٧٦.
    - (V) المعدر نفسه، صـ٧٧.
    - (٨) المندر نفسه، صـ٧٩.
- (٩) فـؤاد إبراهيم عباس، الموروث الشبعبى الفلسطيني في ثورة (١٩٣٦ ١٩٣٩)، طـ القاهرة ١٩٨٩، صد. ٥.
  - (۱۰) عوض ، مصدر سبق نکره، صـ۳۲.
- (١١) نمر سرحان، خمسون سنة من المقاومة (١٩١٧ ١٩٦٧) في الفولكاور الفلسطيني شئون فلسطينية، بيروت، العدد ١٨ شباط (فبراير) ١٩٧٢، صـ١٤٩ - ١٤٩٠.
- (١٢) صبرى جريس، العرب في إسرائيل، ط٢ بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٢، صـ٢٠.

- (۱۳) فؤاد إبراهيم عباس، الفولكلور وأثره فى المحافظة على الشخصية القومية للشعب الفلسطيني، التراث الشعبي (بغداد) العدد ٢، ١٩٧٧، صـ١٨.
  - (١٤) فؤاد إبراهيم عباس ، الوروث مصدر سبق ذكره صد٤٠.
- (١٥) للوسوعة الفلسطينية، طـ١ القسم الثانى مجلد ٤٤ بيروت ١٩٩٠ (انظر: د. حسن أبو
   عليوى الشعر الشعبى الفلسطيني ، صـ٧٢).
  - (١٦) فؤاد إبراهيم عباس، الموروث.. مصدر سبق ذكره، صـ ٢٨.
- (١٧) توفيق زياد، عن الأدب والأدب الشعبي في فلسطين، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠ صدار.
  - (۱۸) الصدر نفسه صـ۱۰۲.
  - (١٩) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره صـ٧٧.
    - (۲۰) المصدر تفسه، صـ۷۲.
  - (٢١) المرسوعة الفلسطينية، مصدر سيق ذكره صد٧٤.
  - (۲۲) نمر سرجان ، موسوعة مصدر سبق ذكره، ص-٦٠.
    - (٢٣) للوسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره صـ٨٢.
      - (۲٤) زیاد، مصدر سبق نکره، صـ۷۶.
      - (۲۰)جریس، مصدر سبق ذکره صد۱۲۰.
  - (۲۱) نمر سرحان ، خمسون .. مصدر سبق ذکره صه۱۲ –۱٤۹.
  - (٢٧) جلسة مع عبد القادر ياسين في منزله بالقاهرة ، ٢٠٠٤/٢/١٥.
    - (٢٨) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره صدا ٨.
      - (٢٩) للصدر تقسه، الصفحة نقسها.
    - (۳۰) سرحان خمسون. مصدر سبق ذکره صه۱۲۰ ۱٤۹.
      - (٢١) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره صـ٨١.
        - (٣٢) المصدر نفسه، الصقحة نفسها.
        - (۲۲) جریس، مصدر سبق ذکره صد۷۷– ۱۰۳)
      - (٣٤) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره صـ٧٩.
        - (٣٥) المصدر نفسه صد٨.
        - (٣٦) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
        - (۳۷) جریس، مصدر سبق نکره، صـ۲۱۳.
          - (۲۸) المسر تقسه، مس۷۸.
      - (٢٩) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره صـ٧٩.
        - (٤٠) سرحان، موسوعة.. مصدر سيق ذكره صـ٦٢.
      - (٤١) جلسة مع عبد القادر ياسين، مصدر سبق ذكره.
        - (٤٢) باروت، مصدر سبق نكره، صـ ٢٠١–٢٠٢.
          - (٤٢) المصدر نفسه صـ٢٠٢.

## شعر

# جنين...

## سليمان دغش

تقتربين الآن منا خطوة أخري ويمضى دمنا حراً إلى نيض البلاد..!

كم من دم تحتاج هذى الأرض
كى يتحد الطين
على قاعدة الخلق الإلهى
ببرق الروح فينا
كم من الموت سيكفي
هذه الجولة كى نؤمن
إن الفجر لم يسقط على قارعة
الدرب

طيرته الريح عن ظهر الجواد...

كم من رماد سوف يكفى طائر الفينيق كى طائر الفينيق كى حائر الفينيق بالميلاد فى جنين من المتحدث الرماد... تقتريين الآن منا من عاداته أن يفصل الأرواح عن أجسادنا هل كانت الأجساد فينا المجاد... غير ظل الرواح غير ظل الرواح فى وعد الجهاد...

هل كانت الأرواح في اجسادنا إلا احتمالاً بورود الماء في صحراء هذا العمر أو ورد الردي في دمنا المسفوك حبراً لنشيد لم نعلقه على قبلتنا الأولى ولم يكتب بحبر أو مداد...

> يا أيها الدورى حلق في فضاء الروح، ما شئت

فهذا أفقك المحتوم. والمخترم في طلقة موت ضاق حتى الصفر في مرمى الزناد...

تقتريين الآن منا وعلينا أن نعد الروح للقردوس جرينا جحيم الأرض يا الله جريناه خمسين جحيما أه يا فردوسنا المفقود ما بين آذين الروح في أجسادنا أو من أنات الفؤاد...

عدراً إذا جنناك موتي
في ثياب العرس
لم نطم بغير القدس
في مينائنا المحقوف بالنورس
حتى آخر النرجس في مرأة هذا البحر
عذراً
لم نكن نعرف أن الغيم
لا يمطر ماء المزن إلا حين
بغشاء السواد

لا شيء في هذا الحطام الغض إلا لوحة الشيطان فوق الأرض هذا لحمنا المنثور هذا دمنا يا آلة التصوير في أقمار هذا العصر إن اللوحة امتدت غوصى في التفاصيل لكي غوصى في التفاصيل لكي في لوحة الشيطان في لوحة الشيطان

> تقتربين الآن منا خطوة أخرى ويمضى دمنا حرأ إلى نبض البلاد..!!

شعر

# الموجةعودة

## معين شلبية

ولماذا أسامح يا أصحاب؟ هل أحد منكم يحمل أمتعة الصبح مكاني هل من يقرأ في حزنى النكبة ويشارك في موت الليل مقاساة العتمة ويمزق شريانا في أحشاء زماني كانت في قلبي تتفتح زهرة كانت في روحي زنبقة مرة مر العمر ويا ليته .. ما مر:

> كانت فى قلبى تتفتح طفلة تتململ فى رحم الأحزان.. تعاني كانت فى روحى آنثي

ترسم أجنحة الشمس وأعقاب البسمة لكن سهاما من قوس أحبائي بعثت في عز الصبح إلى روحي.. فأصابت!

> ماذا أفعل يا أصحاب؟ هل يوجد من يحمل منكم أتعاب الأمة هل أحد منكم يقرأ أسفار البحر ويرشف من قاع الكأس بقايا الجمرة؟ وتقول الطفلة:

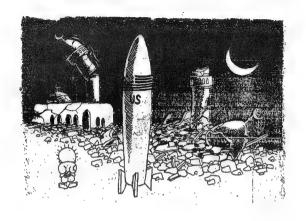
ماذا أفعل كي تجعلني حبلي!؟

ماذا أكتب يا أغراب؟

هل يوجد من يفهم فيكم ما قد أكتب؟
قد أكتب عنكم كل خطاياكم

لإتكون الثورة
لتكون الثورة
لتكون الثورة...
لتكون الثورة...
هل أحد منكم يعرف طعم الجرح المالح

هل أحد منكم يعرف كيف يكون الحب
على جسر العودة؟
هل أحد منكم يعرف كيف يكون الحب
على جسر العودة؟
هل أحد منكم يعرف كيف يكون الحب
على خصر الغودة؟
هل أحد منكم يعرف كيف تغيب الروح



#### وتنتحر الشبهوة..؟!

ماذا أفعل يا أحباب؟ سراب هذا.. هذا سراب واصل شهوتك المائية واصل أحلام الزوجة فغدا ستعانق تلك الموجة الموجة عودة الموجة عودة الموجة عودة.

#### قصة

# كلاكما قريان

### منال خميس - غزة

هو مثل حائط عتيق يشعر أن وجويه على الأرض مؤامرة غامضة لا علاقة له بها «مؤامرة مؤنثة الأطراف» كما يحلو له أن يسميها ولكنه يحاول أن يتكيف معها، حين التقاها أول مرة تناظرا قال لها: إن القانون ذكر والفوضى أنثى ولتحسم هي الحرب قالت: الموت ذكر، الحياة أنثى.

هو رسم ورسم ورسم، كانت كل لوحاته نساء، لم يرسم غير النساء...
مليكات رائعات يحملن بالحرية والانطلاق، بعيدات تظللهن نسمات
شفيفة من الرقة والجمال، وكانت مليكاته غامضات عبقريات إذا ما
ابتسمن سجد لهن الندى. إلى أن وجدها فلم يرسم غيرها.

هى امرأة تهطل حكايا وأحلاما تنسج فرحها الخاص ببهاء «الأنثى مفتاح الأرض» وبالنسبة له كانت أشبه ما يكون بفخ نصبه أحد ما لعابر مطمئن. تسللت تلك المرأة العازفة الى لوجته حسب الأسطورة الإغريقية التى تقول «إن الرجل والمرأة كانا جسداً واحداً أغضب الآلهة فعاقبته الآلهة بفصله عن بعضه البعض (ذكراً وأنثي) وقضت بأن يعيشا طوال حياتهما فى جحيم البحث أحدهما عن الآخر».

هي غنت له قصيدتها الإيرانية المفضلة:

وجودى كله أية مظلمة

تكررك دائماً في نفسها

ستأخذك إلى سحر الاندماش

والعود الأبدى.

أنا تأوهتك في هذه الآية: أه...

أنا، بهذه الآية، ريطتك

بالشجر

والماء

والنار.

هو برغم حديثه المضادع عن الفضيلة والحب والنقاء كان ظلاماً رغبت هي في إشباع روحه بالنور فأصبح يشع بها وتشع به، لم يكن بينهما برزخ أو مسافة أتته وكأنه لا مخلوق سواه.

هى مرضت ذات يوم وتوقفت عن العزف، هو ابتعد فليلاً هى كانت على ثقة بلهاء بأن كل شىء على ما يرام، هو كان ثمة شىء يسقط فيه فأصبحت الوانه مراوغة مثل أزرق شاحب.

هى حين اكتشفت الخديعة ليس الآلم ما أحست به انذاك بل شيء أقسى واعتى. وهو حين أدرك أنه بدأ يثير فيها مشاعر تأفهة ولأنه يعرف ولعها بالأساطير أقسم لها بلهجة غادرة كريح دوارة «أحبك وسأحضر لك جثة الوجود ذات الأبعاد الضائعة».

هي تعرف أنه بدأ يمارس لزوجة العبث وأصبح يكذب فابتعدت هي الآن وحدها بلقها الليل والصمت ولحن أغنيتها الابرانية الحزين

الآن، في الليل، شيء ما يحدث

وراء تلك النافذة برتحف اللبل

والأرض تكف عن الدوران.

وراء تلك النافذة شيء ما غامض:

قلق لے , واك .

يا من كله أخضر

بداك اللتان...

هو الآن هناك كما تقول الحكاية «في الكرمل حيث الآله نسى الأشياء بعد أن شعر بجوع شدید علی منحدر ترایی بتمدد هو وآخری».

امرأة بالأسود

ورجل مرتبك

وسماء آبلة لمطر خفيف

الأخرى في حضنه خائفة مرتعشة

والعازفة في ألجوار

وحدها ترقب للشهد

مأخوذة في اشتباك النار مع النار.

القصائد الإيرانية للشاعرة الراحلة فروغ فرح زاده

# رسائل راشيل كورى «بلاغ عن الإبادة»



ترجمة، ليس النقاش تقديم، فريدة النقاش لم يخطر ببال الرسامة الشاعرة «راشيل كورى» ابنة الثلاثة والعشرين عاما أن التغيرات العاصفة التى شهدها العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وهيمنة من القطب الأمريكى الواحد على مقدرات البشر سوف تطلق كل هذه الوحشية من عقالها ليبدو قول كاتبنا «نجيب محفوظ» الذى لابد أنها كانت قد سمعت به أو قرأت له إن «الإنسان جديد والوحش قديم» وكأنه نبوءة توقعت هذه التحولات. ولا أعرف إن كان من حسن حظ «راشيل» أو سوئه أن موتها الفاجع تحت جرافة إسرائيلية كانت هى تسعى لمنعها من هدم بيت فلسطيني في رفح في السادس عشر من مارس ٢٠٠٧ قد حدث قبل غزو العراق بأربعة أيام، إذ كانت المنتاة المفعمة بالحساسية وبالأحلام قد شهدت ما يكفى من الألم في فلسطين حتى أخذت تعيد النظر كما تبين رسائلها لا في حياتها هي وحدها وإنما في حياة الأمريكيين الميسورين جميعاً بل وتحمل رسائلها إدانة غاضبة لكل حياة الأمريكيين الميسورين جميعاً بل وتحمل رسائلها إدانة غاضبة لكل الصامتين «كيف نسمح للعالم بأن يكون بتلك البشاعة». «فإذا كنت أشعر بالغضب الشديد لمجرد دخولي القصير وغير الكامل إلى ذلك العالم الذي ينتمي اليه هؤلاء الأطفال فإنتي أتسامل كيف سيشعرون إذا دخلوا إلى العالم الذي العس أعيش».

بحثت لحياتها عن معنى ووجدته. فماذا يبقى للإنسان لو خلت الحياة من المعنى.

تركت الفتاة دراستها كطالبة جامعية في واشنطن ومدينتها الصغيرة «أوليمبيا» لتلحق بمجموعة التضامن العالمي مع شعب فلسطين وتعيش مع البسطاء يقتسمون الخبز والماء الشحيح وينتظرون القنابل ويتحركون في إطار أبراج المراقبة، ولا يعرفون إن كانوا سيبقون أحياء حتى اليوم التالي.

وكان طبيعياً أن تكتشف «راشيل» أن أطفالاً ممن يبلغون الثامنة يعرفون عن زمن العولمة وتوازنات القوى فيه أكثر مما كانت هى شخصيا تعرف منذ بضع سنوات.. ولكنها عرفت هى أيضا أكثر مما ينبغي.. عرفت لحد الموت.

ويود ملتقى تنمية المرأة في احتفاله بها أن يقول لها ولأسرتها وللعالم إن المثل

الذى قدمته هو رسالة للإنسانية كلها تقول لها وللعالم إن الليل زائل، فيقظة الضمير والسخاء والكبرياء الإنسانى «لراشيل» ستظل علامات على ما هو قادم. إنها هى تجسيد ناصع البهاء للحركة المناهضة للعولة والأمبريالة ومن أجل عولة بديلة إنسانية وعادلة. تؤمن بأن الإنسان سوف ينتصر على الوحش ذات يوم.. وتقول مع دستيوفسكى شاعر الروح «إن الإنسان شرير لأنه لا يعرف أنه طيب» وتلك هى رسالتك النبيلة للإنسانية أيتها الشاعرة ولك كل الحق إذا كان إيمانك بأن الإنسان بطبيعته طيب قد بدأ يهتز، إذ أن حروب الإبادة والاستغلال والتجويع وإهدار الكرامة فى فلسطين والعراق وأفغانستان في جوانتانام وأبو غريب لا تدمر ضحاياها وحدهم وإنما تدمر الجلادين قبلهم وتحول العالم إلى غابة ترعى فيها وحوش ضارية.

قابلت الحكومة الأمريكية جريمة قتل «راشيل» بفتور بالغ لم يصل حتى إلى حد الإدانة بل اكتفت بطلب إجراء تحقيق حرصا على إغضاب إسرائيل، وقام والد «راشيل» بتحريك دعوى ضد شركة «كاتريلر» الأمريكية التى منحت الجرافة لإسرائيل مع مساندة غير مشروطة من قبل الإدارة الأمريكية وامتنع نواب وشيوخ عن مساندة الأبوين خوفا من ضياع أصوات الناخبين.

وحين قرر فريق مسترحى فى نيويورك تقديم عرض عن حياة «راشيل» من رسائلها تكاتفت مؤسسات صهيونية ومحافظة قوية لوضع العراقيل بدعوى أن العرض معاد للسامية وقيل أنه تأجل للعام القادم.

وذلك بعد أن كانت العاصمة البريطانية لندن قد شهدت على امتداد عام ٢٠٠٥ عرضا عن حياتها نجح نجاحا كبيرا تعبيراً ضمنيا عن الضمير الإنساني الذي ينتصر لقيم العدالة والحرية والكرامة الإنسانية وحقوق الشعوب وينفر من القهر والإذلال والتوحش.

ستبقى «راشيل» فى ذاكرة الإنسانية مصدرا دائماً للنور الذى يبدد العتمة، ويضي طريق المكافحين الذين تهتز على وقع أقدامهم عروش الظالمين. وستسقط عروش الظالمين.

#### الرسنالة الأولى

#### ۷ فبرایر ۲۰۰۳

أمى

تحياتي للأصدقاء والأهل وللجميع

مضى الآن اسبوعان وساعة وإنا فى فلسطين، وما زلت لا أجد الكلمات لأصف ما أشاهده. وإجد صعوبة بالغة فى التفكير فيما يحدث هنا وإنا جالسة أكتب لكم فى الولايات المتحدة — وكاننى بذلك أطل على عالم خيالى من الرفاهية. لا أدرى كم من الوطفال هنا عاشوا فى بيوت لا تمزق حوائطها شظايا القنابل ومن غير أبراج مراقبة على مرمى البصر يراقبهم من خلالها جيش احتلال. أعتقد، وإن كان لا يمكن أن أجزم بذلك، أن حتى أصغر الأطفال هنا يعرف أن الحياة ليست هكذا فى كل مكان فى الدنيا. فقبل حضورى بيومين قتلت دبابة إسرائيلية طفلا فى الثامنة من العمر، وفى حديثى مع الأطفال ظلوا يهمسون إلى باسمه: "على"، أو يشيرون إلى المصقات التى تحمل صورته على الحوائط. ويحب الأطفال هنا كذلك أن يجعلونى أتحدث بلغتى العربية الضعيفة جدا فيسالونني "كيف شارون؟" و"كيف بوش؟" ويضحكون حين أجيبهم "بوش مجنون" وشارون مجنون".

ليس هذا رأيى بالضبط، وبعض الكبار النين يعرفون الإنجليزية يصححون ما أقوله. 
"بوش مش مجنون، بوش صاحب بيرنس،" حاولت اليوم أن أتعلم كيف أقول "بوش 
أداة"، ولكننى لا أعتقد أن الترجمة كانت دقيقة. وعلى كل حال فبعض الأطفال هنا 
ممن يبلغون الثامنة يعرفون عن زمن العولة وتوازنات القوى فيه أكثر مما كنت أنا 
شخصيا أعرف منذ بضعة سنوات، على الأقل فيما يخص إسرائيل.

ومع ذلك أعتقد أنه لا القراءة أيا كان مقدارها، ولا حضور المؤتمرات، ولا مشاهدة الأفلام الوثائقية وسماع الشهادات، كان يمكن أن يعدنى لاستقبال الوضع كما هو في الواقع. هذا الواقع ببساطة لا يمكن تخيله من دون رؤيته بالعين، وحتى حين تراه فإنك تعرف جيدا أن تجربتك ليست هي الواقع أبدا، فهناك المشكلات التي سيواجهها

الجيش الإسرائيلي إذا ما أطلق النار على مواطن أمريكي غير مسلح، كما أننى أملك المال الذي يسمح لى بشراء المياه حين يدمر الجيش أبار المياه، والأهم إننى استطيع الرحيل وقتما أشاء. لم يسبق لأى من أفراد عائلتي أن قتل وهو يقود سيارته بصاروخ يطلقه برج في نهاية شارع رئيسي ببلدتي. عندي بيتي. ومسموح لي أن أرى البحر. ونظرياً على الأقل يصعب كثيرا أن يتم احتجازي لشهور أو سنوات من دون محاكمة (هذا لأنني مواطنة أمريكية بيضاء، على عكس الكثيرين غيري.)

وعندما أخرج من بيتى لأنهب للمدرسة أو العمل أكون مطمئنة لثقتى الكبيرة أن عسكريا مدججا بالأسلحة الثقيلة أن يقطع على الطريق من نقطة التغتيش الواقعة بين بيتى فى خليج ماد إلى وسط مدينة أوليمبيا، عسكرى يملك أن يقرر إذا كان بإمكانى أن أمضى فى طريقى، وإذا ما كان يمكننى أن أعود إلى بيتى حين أنتهى من عملى، فإذا كنت أشعر بالغضب الشديد لمجرد بخولى القصير وغير الكامل إلى نلك العالم الذى ينتمى إليه مؤلاء الأطفال، فإننى أتسامل كيف سيشعرون إذا دخلوا إلى العالم الذى أعيش فيه؟

أنهم يعلمون أن الأطفال في الولايات المتحدة لا يقتل آباؤهم رميا بالرصاص ويعرفون أن الأطفال يذهبون أحيانا لرؤية البحر. ولكن ما الذي سيحدث لو جاءت اللحظة التي تستطيع فيها رؤية البحر وتعيش في مكان هادئ حيث لا قلق على توفر المياه إذ لا تسرقها البولدوزرات ليلا، ويمضي المساء بدون أن تتسامل إذا ما كنت ستستيقظ من نومك على انهيار مفاجئ لحوائط المنزل باللبل، وتلتقى بأشخاص لم يفقدوا عزيزا أبدا، وتعيش في عالم لا تحيطك فيه أبراج القتل ودبابات ومستوطنون مسلحون بالإضافة إلى ذلك الحائط المعدني العملاق، فهل يمكن أبدا وقتها أن تغفر للعالم سنوات طفولتك تلك التي قضيتها تحاول فقط البقاء مقاوما لذلك الخناق المضروب حولك من رابع أكبر قوة عسكرية في العالم تدعمها القوة العظمى الوحيدة في العالم، وهي تحاول محوك من على أرض وطنك؟ هذا هو السؤال الذي يشغلني حين افكر في هؤلاء الأطفال. أنني أفكر فيما سيحدث إذا كانوا حقا يعرفون.

وبعد كل هذه الأفكار المتناثرة، أقول إنني هذا في رفح، مدينة من ١٤٠ ألف نسمة،

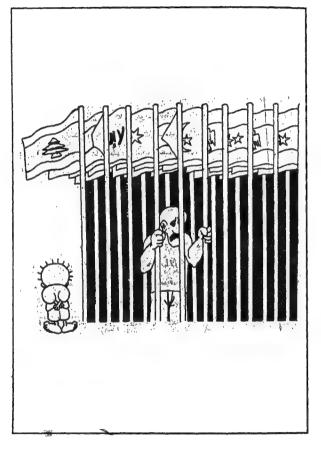
ستون بالمائة منهم تقريبا من اللاجئين، وكثير من هؤلاء هجّروا مرتين أو ثلاث مرات. رفح كانت مرجودة قبل ١٩٤٨ ولكن أغلب الناس هنا إما مهجّرون أو أبناء مهجرين من الذين أبعدوا عن ديارهم في فلسطين التاريخية أي إسرائيل الحالية. وقد قسمت رفح إلى قسمين عندما تم تسليم سيناء إلى مصر.

ويبنى الجيش الإسرائيلى حاليا حائطا يبلغ ارتفاعه ١٤ مترا يفصل رفح الفلسطينية عن الحدود، خالقا بذلك أرضا محايدة على انقاض البيوت الواقعة على الحدود. لقد قامت البلدوزرات بتسوية ستمائة واثنين من البيوت بالأرض طبقا لإحصاءات اللجنة الشعبية للاجئين برفح. وهناك عدد أكبر من ذلك من البيوت التي تم هدم أجزاء منها.

واليوم وأنا أسير فوق تلك الأنقاض التي كانت يوما بيوتا، سمعت أحد الجنود المصريين ينادى على من الجهة الأخرى من الحدود "-ا60/60 [ابتعدى، ابتعدى] فقد كانت هناك دبابة قادمة. وبعدها لوح إلى قائلا "-whatsyourname" [ما اسمك؟]. شيء ما غير مريح في ذلك الود والفضول، فقد ذكرني إننا جمعياً لسنا سوى أطفال لدرجة ما يتملكهم الفضول. أطفال مصريون ينادون على تلك المرأة الغريبة التي تمشى في طريق الدبابات، وأطفال فلسطينيون تقذفهم الدبابات بنيرانها عندما يطلون برؤسهم من خلف الجدران لمراقبة ما يحدث، وأطفال من مختلف الجنسيات يقفون أمام الدبابات رافعين شعارتهم.

وأطفال إسرائيليون مجهولو الهوية داخل الدبابات يزعقون أحيانا ويلوحون أحيانا أخرى، كثير منهم مجبر على الوجود هنا وكثير منهم يحمل من العدوانية ما يجعله يقذف تلك البيوت بمجرد أن نبتعد عنها.

وهناك بالإضافة إلى الوجود الدائم للدبابات على طول الحدود وفي القطاع الغربي بين رفح والمستوطنات الواقعة على ساحل البحر، هناك أبراج جيش الدفاع الإسرائيلي التي لا تعد ولا تحصى والمعتدة على مدى البصر على أطراف الشوارع. بعضها أبراج الجيش المعدنية الخضراء، ولكن البعض الآخر أبراج ذات سلالم حلرونية غريبة مغطاة بما يشبه الشباك بحيث لا يمكن معرفة ما يدور بداخلها.



وبعض الأبراج مخبأة خلف المبانى التى تغطى الأفق. منذ أيام تم بناء برج جديد فى المدة التى قمنا فيها بغسل بعض الملابس والذهاب للبلدة مرتين لتعليق لافتات.

وتشكل الأجزاء الواقعة على الحدود رفح القديمة وسكنها عائلات فلسطينية عاشت هناك لما يزيد على قرن، ومع ذلك فإن الفلسطينيين لا يسيطرون، طبقا لاتفاقيات أوسلو، سوى على المخيمات التى أقيمت ١٩٤٨ فى وسط المدينة. ومع ذلك ففى حدود ما شاهدت لا يكاد يوجد مكان لا يشرف عليه برج من هذه الأبراج. والمؤكد أنه ما من بقعة لا تطالها طائرات الأباتشى أو الكاميرات المخبأة التى نسمع أزيزها فوق المدينة لساعات طويلة.

أجد صعوبة هنا في الوصول إلى أخبار العالم الخارجي، ولكن يبدو مما أسمعه أن تصعيد الحرب على العراق أصبح حتميا. أما هنا فالمخاوف تتزايد من إعادة احتلال غزة . وهو ما يحدث بصفة يومية بدرجات متفاوتة، ولكن الخوف على ما أعتقد هو أن تدخل الدبابات إلى الشوارع وتبقى هناك، بدلا من دخولها بعض الشوارع ثم الانسحاب بضعة ساعات أو أيام لتراقب وتطلق النار من على أطراف التجمعات السكنية. ويجدر بمن لم يفكروا في عواقب هذه الحرب بالنسبة لسكان المنطقة كلها أن يفعلوا ذلك الآن.

واتمنى كذلك أن تأتى إلى هنا. ففى الفترة الماضية كان عددنا يتراوح ما بين خمسة وسية نشطاء دوليين. وقد طلبت هذه الأحياء السكنية منا تواجدا وهى يبنا × وتل السلطان وحى السلام والبرازيل وبلوك لا وبلوك عما أن هناك حاجة لوجود دائم فى الليل عند البئر الواقع على اطراف رفح منذ أن دمر الجيش الإسرائيلي البئرين الكدين.

وطبقا لهيئة المياه فإن تلك الآبار التى تم تدميرها فى الاسبوع الماضى كانت تشكل نصف إمدادات المياه برفح. كثير من التجمعات السكنية طالبت بوجود نشطاء بوليين أثناء الليل لمحاولة حماية البيوت ضد مزيد من الهدم. وبعد حوالى العاشرة مساء يصعب كثيرا التنقل بالليل حيث يتعامل الجيش الإسرائيلي مع كل من فى الشارع على أنه من المقاومة ويطلق النار عليه. وبالتالى فنحن كما هو واضح قليلون جدا.

ما زلت أعتقد أن بلدتى، أوليمبيا، ستجنى الكثير وستقدم الكثير إذا ما هى التزمت بعلاقة تضامن مع المدنيين بينها وبين رفع. لقد عبر بعض المدرسين والأطفال عن رغبتهم فى تواصل عبر البريد الإلكتروني، ولكن هذا لن يكون سوى أبسط وأقل الأعمال التضامنية التى يمكن القيام بها.

الكثيرون يرغبون في إسماع اصواتهم، واعتقد أن علينا أن نستخدم بعضاً مما لدينا من امتيازات كنشطاء دوليين حتى يمكن لهذه الأصوات أن تسمع مباشرة في الولايات المتحدة . وليست "مفلترة" من خلال النشطاء الدوليين ونواياهم الحسنة مثلى. هذا ليس إلا بداية تعلمى، الذي اتصور أنه سيكون تعلما مكثفا، حول قدرة الناس على المتنظيم رغم كل العقبات والقاومة رغم كل الظروف. شكرا على كل الأخبار التي تصلني من الأصدقاء في الولايات المتحدة. لقد قرأت للتو تقريرا من صديق قام بتنظيم جماعة للسلام في شليتون بواشنطون واستطاع أن يكون عضوا في الوفد المشارك في المظاهرة الاحتجاجية الكبرى في ١٨ يناير في واشنطون في الوفد المشارك في المظاهرة الاحتجاجية الكبرى في ١٨ يناير في واشنطون العاصمة. الناس هنا يشاهدون وسائل الإعلام وقد أخبروني اليوم مرة أخرى عن المظاهرات الكبيرة التي وقعت في الولايات المتحدة و"المشكلات التي تواجهها الحكومة" في بريطانيا . فشكرا لأنني لم أعد أشعر إنني بلهاء حينما أقول للناس هنا أن الكثيريين في الولايات المتحدة لا يؤيدون سياسات حكومتنا، فإننا نتعلم من التجارب في كل أنحاء الأرض كيف نقاوم.

يبنا: قسم من مخيم رفح يقيم فيه المهاجرون من قرية يبنا في فلسطين المجتلة.
 والبرازيل: هو مقر القوات الدولية قبل حرب ١٩٦٧

#### الرسالة الثانية

أمي

الجيش الإسرائيلي قام بالفعل بحفر الطريق إلى غزة وتم إغلاق نقطتي التفتيش كلتيهما . وهو ما يعنى أن الفلسطينين الراغبين في التسجيل للفترة الدراسية القادمة في جامعاتهم لن يتمكنوا من ذلك. ولا يستطيم الناس الذهاب إلى أعمالهم، ولا يستطيع من قفل عليه الطريق قبل عودته أن يعود لبيته. وإن يستطيع النشطاء الدوليون حضور اجتماع كان مقررا غدا في الضفة الغربية. ولعلنا نستطيع الوصول إذا ما قمنا باستغلال امتيازاتنا كأفراد ينتمون للعرق الأبيض والمجتمع الدولي استغلالا حقيقيا، وإن كان في ذلك احتمال التعرض للقبض أو للترحيل، برغم من أننا لن نكون قد خالفنا القانون بأي شكل.

لقد تم تقسيم قطاع غزة الآن إلى ثلاثة أجزاء. وهناك كلام حول 'إعادة احتلال غزة' ولكنى أشك بشدة أن هذا سيحدث، فهو سيكون في اعتقادى خطوة غبية سياسيا وبمغرافيا من جانب إسرائيل في الوقت الحالى. أعتقد أن الأرجح هو قيام إسرائيل بغارات صغيرة لا تلتقطها رادارات المجتمع الدولي الغاضبة، أو ربما استخدموا 'ترحيل السكان' الذي طالما لوجوا به.

انا مستقرة في رفح الآن، وليس لدى أى خطط المتحرك تجاه الشمال. مازلت أشعر إننى في أمان نسبى، وأعتقد أن أكثر ما يمكن أن يصيبنى في حالة غارة واسعة النطاق هو القبض على. أن خطوة إعادة احتلال غزة سوف تتسبب في غضب أكبر بكثير مما تسببه سياسة شارون للاغتيال والاستيلاء على الأراضى في وقت السلم والمفاوضات، والتى كانت ناجحة حتى الآن في إقامة المستوطنات في كل مكان بحيث تستاصل عمليا على المدى أى فرصة لتقرير المصير للفلسطينيين. ولتعلمى أن لدى الكثير من الأصدقاء الفلسطينيين الذين يعتنون بى. وقد أصبت ببعض البرد وحصلت على مشروبات جميلة من الليمون لعلاجى. كما أن المراة التى تحفظ مفتاح البئر حيث ننام لا تكف عن سؤالي عنك. وهي لا تتكلم أية إنجليزية ولكنها تسأل عن أمي كثيرا و تريد أن تتأكد إننى أتصل بك.

حبى لك ولأبى وإسارة وكريس والجميع

راشيل

#### الرسالة الثالثة

#### ۲۷ فیرایر ۲۰۰۳

(إلى والدتها)

أحبك. واشتاق إليك حقا. أرى فى كوابيسى دبابات ويلدوررات حول منزلنا وأنا وأنت فى الداخل. أحيانا ما يعمل الأدرينائين لأسابيع وكأنه بنج ثم فى المساء أو الليل يصيبنى شيء من واقع الحالة التى نعيشها. أننى حقا اشعر بالخوف على الناس هنا. بالأمس شاهدت أبا يصحب طفليه الصغيرين ممسكا أيديهما ليصبحوا الناس هنا. بالأمس شاهدت أبا يصحب طفليه الصغيرين ممسكا أيديهما ليصبحوا الأب يعتقد أن الجيش على وشك تفجير بيته. بقينا جينى وأنا داخل المنزل مع بعض النساء وطفلين رضيعين. كان خطأ فى ترجمتنا هو ما جعله يتصور أن بيته على وشك أن يتم تفجيره. والحقيقة أن الجيش الإسرائيلي كان بصدد تفجير قنبلة فى أرض مجاورة، كانت المقاومة الفلسطينية على ما يبدو قد زرعتها

فى هذه المنطقة يوم الأحد تمت محاصرة ١٥٠ رجلا واقتيادهم خارج الحى السكنى ونيران البنادق فوق رؤوسهم وحولهم، فى حين قامت الدبابات والبولدوزرات بتدمير ٢٥ صوبة زراعية كانت مصدر الرزق الوحيد لثلاثمائة إنسان. وقد تم زرع القنبلة أمام الصوب الزراعية مباشرة – تماما عند نقطة دخول الدبابات تعبرها فى ذهابها ومجيئها المتكرر. لقد أفزعتنى فكرة أن هذا الرجل شعر أن خروجه فى الشارع أمام الدبابات مصطحبا طفليه أكثر أمانا من البقاء فى المنزل. وقد خفت حقا أن يتم ضريهم جميعا بالرصاص وحاولت الوقوف بينهم وبين الدبابة. إن هذا مشهد يومى ولكن هذا الأب السائر بطفليه الصغيرين فى حزن بالغ أثار إنتباهى اكثر فى تلك ولكن هذا الأرحم لأننى شعرت أنه غادر الدبت سبب مشكلاتنا فى الترحمة.

لقد فكرت كثيرا فيما قلته لى على التليفون حول العنف الفلسطيني وما يترتب عليه من تعقيد الموقف. منذ سنتين كان في رفح ستون ألفا من العمال الذين يذهبون للعمل في إسرائيل، لا يتمكن الآن سوى ٢٠٠ منهم من الوصول لعملهم هناك، وقد انتقل

أغلبهم من بيوتهم بسبب نقاط التفتيش الثلاث بين مستوطنة غوش قطيف وعسقلان (أقرب مدينة إسرائيلية) والتي جعلت من المسافة التي كانت تقطعها السيارة في أربعين دقيقة، رحلة من اثني عشرة ساعة وريما رحلة مستحيلة. بالإضافة إلى ذلك فقد تم تدمير كل ما كان يعتبر في ١٩٩٩ مصدرا للنمو الاقتصادي في رفح تدميرا كاملاً: \_\_ مطار غيزة الدولي (تم هدم الطريق السيريع للطائرات nunway وغلق المطار كلية)، التجارة عبر الحدود مع مصر (الآن يوجد على هذه الحدود برج عملاق للقناصة الإسرائيليين في وسط طريق العبور)؛ المنفذ البحر (تم قفله تماما في السنتين الماضيتين عن طريق نقطة تفتيش ومستوطنة غوش قطيف). أن عدد البيوت التي تم تدميرها في رفع منذ بداية الانتفاضة يبلغ حوالي ٦٠٠ بيتا، معظم سكانها إناس لا علاقة لهم بالمقاومة إنما صادف وقوع منازلهم على الحدود. أعتقد أن رفح تعتبر الآن في الإحصاءات الرسمية أفقر مكان في العالم. وحتى وقت قريب كان يوجد في هذا المكان طبقة وسطى. كما سمعنا هنا عن شحنات الورود التي كانت تصدر إلى أوروبا في الماضي وكانت تتعطل السبوعين في معبر إيرز إلى أن يقوم الأمن بفحصها. ولك أن تتخيلي قيمة ورود عمرها أسبوعان بعد القطف في الأسواق الأوربية، فما كان إلا أن جفت هذه التجارة. وبعد ذلك تأتى البولدوزرات لتقتلع مزارع الخضروات وحدائق الفاكهة. فما الذي بيقي للناس؟ اخبريني إن استطعت التفكير في شيء. فأنا لا أستطيع.

لو أن أحدا منا تعرض لهذا: حياته وكل وسائل عيشه تحت حصار كامل، يعيش مع أطفاله في مكان يضيق عليهم مدركا، بناء على خبرات سابقة، أن الجنود والدبابات والبولدوزرات قد تهاجم في أي لحظة وتدمر كل الصوب الزراعية التي أمضى زمنا يرعى ما بها من زرع، ثم يقومون أثناء ذلك بضرب البعض وباحتجازه أسيرا مع الا كر لعدة ساعات، فهل تعتقدين إننا ربما كنا سنحاول وقتها استخدام شبيئ من العنف للدفاع عما تبقى لنا من فتات؟ أننى أفكر في هذا خاصة حين أرى أشجار البساتين والصوب الزراعية وأشجار الفكاهة يتم تدميرها ... بعد سنوات من الرعاية والزراعة. أفكر بك وبالوقت الذي تستغرقه النباتات لتكبر والعمل والحب الذي

يتطلبه ذلك. إننى أؤمن حقا أن معظم الناس فى موقف مماثل ستدافع عن نفسها باقصى ما تستطيع، أعتقد أن عمى جريج كان سيفعل ذلك. أعتقد أن جدتى على الأغلب ستفعل ذلك. اعتقد إننى كنت سأفعل ذلك.

تسالينني عن المقاومة السلمية.

عندما تم تفجير القنبلة بالأمس تكسر زجاج نوافذ بيت تلك العائلة. كنت لحظتها أهم بشرب الشاي الذي قدموه إلى واللعب مع الطفلين الصغيرين. إن ذلك صبعب على جدا الآن. اشعر بالغثيان من ذلك الاهتمام الذي يحيطني به طوال الوقت ويمنتهي الرقبة ناس بواجهون الهلاك. أعرف أنه في الولايات المتحدة بعدو كل هذا وكأنه مبالغة. ولكن صدقيني أن هذه الطيبة الغامرة للناس هنا مع كل ما يحيط بهم من أسباب التدمير المتعمد لحياتهم يجعل كل هذا يبدولي وكانه غير حقيقي. انني لا أصدق حقا أن كل هذا يحدث من دون أن تتصاعد احتجاجات العالم. وأتألم حقاء كما كنت أتألم سابقا، حين أشهد كيف نسمح للعالم أن يكون بتلك البشاعة. لقد شعرت بعد حديثي معك إنك ريما لا تصدقينني تماما. وأعتقد أنه ريما من الأفضل ألا تصدقيني، لأنني أؤمن بعمق وحق بأهمية التفكير النقدي المستقل. كما إنني أدرك إنني معك أكون أقل حرصا من المعتاد في محاولة التأكيد على مصدر كل معلومة أقولُها. ويرجع هذا إلى حد كبير إلى معرفتي بأنك تقومين بنفسك بالدراسة والبحث عن المعلومات. ولكننى قلقة بشأن ذلك العمل الذي أقوم به. إن كل تفاصيل الوضع الذي حاولت وصفه لك فيما سبق وغيره بشكل نوعا من السلب والتدمير لقدرة مجموعة من الناس على النقاء على قيد الحياة، وهو تدمير هائل وإن كان تدريجياً وخفياً في معظم الأحوال. هذا ما أراه هنا. أن الاغتيالات والهجمات الصاروخية وقتل الأطفال كلها فظائم، ولكنى أخشى أن يتوه منى السياق في تركيزي على تلك الفظائم. أن الأغلبية من الناس هنا، حتى لو كان عندهم الإمكانيات الاقتصادية للهرب، وحتى لو كانوا فعلا راغبين في التخلي عن المقاومة على ارضهم والرحيل (وهذا ربما يكون أقل أهداف شارون المحتملة شناعة) فإنهم لا يملكون أن يرحلوا لأنهم لا يستطيعون الوصول إلى إسرائيل من أجل تقديم طلبات تأشيرات لبلدان أخرى ولأن البلدان الأخرى لن تقبلهم (سواء كانت بلدنا أم البلدان العربية). وأعتقد أن قطع كل سبل الحياة على إناس محاصرين في منطقة مغلقة (غرة) لا يملكون الخروج منها هو بمثابة إبادة جماعية حقا. ربما أمكنك البحث عن تعريف الإبادة الجماعية في القانون الدولي. فأنا لا أذكر التعريف الآن. أن ما أرجوه هو أن أقوم بتقديم الأمثلة الواضحة على كل ما أقول.. فأنا لا أحب استخدام تلك الكلمات الكبيرة، وأعتقد إنك تعرفين ذلك عنى. فأنا أقدر الكلمات حق قدرها. وأحاول فعلا أن أقدم وصفا دقيقا وأترك للآخرين فرصة استخلاص الاستنتاجات.

على أى حال هذه أفكارى المشتئة. ولكنى أريد أن أكتب لك يا أمى وأن أقول لك أننى شاهدة على هذه الإبادة الجماعية المستمرة والغادرة، وأننى خائفة حقا: وأن إيمانى العميق بأن الإنسان بطبيعته طيب بدا يهتز. يجب أن يتوقف كل هذا. والأمر يستحق أن نترك جميعا كل ما بأيدينا ونكرس حياتنا من أجل أن يتوقف هذا. ولا اعتقد أن مثل هذا العمل به أى درجة من المبالغة فى الوقت الصالى. مازلتُ أرغب فى الرقص على موسيقى بات بيناتر وأن يكون عندى رجل أحبه ويحبنى وأن أضحك مع زملائى فى العمل. ولكننى أيضا أريد لما يحدث هنا أن يتوقف. أن شعورى هو شعور بعدم التصديق وبالفزع. وبالإحباط. أنه من المحبط أن يكون هذا هو الواقع الحقير لعالمنا والذى نساهم فعلا فى تحقيقة. لم يكن هذا أبدا ما تمنيناه حين جئنا إلى هذا العالم، والذى أردت لى أنت وأبى أن أتى إليه حين قررتما أن يكون لكما طفل. وليس هذا ما لذى أردت لى أنت وأبى أن أتى إليه حين قررتما أن يكون لكما طفل. وليس هذا ما يليه مين نظرت إلى بحيرة الناوي وقلت "هذا هو العالم الواسع وإنى قادمة ليه أيه أن أقصد إننى قادمة لمالم حيث يمكننى العيش فى راحة وريما بدون أي إليه على الإطلاق، وبلا أى وعى بأننى أشارك فى حرب إبادة. مزيد من الإنفجارات الكبيرة فى مكان ما على البعد خارج البيت.

لعلنى حين أعود من فلسطين ستنتابنى الكوابيس وأشعر دائما بالذنب لاننى لست هنا، ولكن يمكن لكل ذلك أن يصب فى مرزيد من العمل. ان هذه الرحلة هى أحمد أفضل الأشياء التى قمت بها فى حياتى. لذلك عندما أبدو وكأنى أتكلم كالمجانين، أو

إذا ما قامت القوات العسكرية الإسرائيلية بإلحاق أى اذى بى، على عكس ميلها العنصرى الدائم بعدم إلحاق الآذى بأصحاب البشرة البيضاء، فأرجو أن تعرفى أن السبب في ذلك بلا أدنى شك هو إننى أعيش وسط حرب إبادة، وإننى بشكل غير مباشر قد ساهمت فيها وأن الحكومة التى تمثلنى مسئولة مسئولية أساسية عنها. أحيك أنت وأبى. وأعتذر عن تلك الخطبة. حسنا لقد أعطاني الآن بعض الرجال

احبك انت وابى. واعتدر عن نك الحطبة. حسنا لقيد اعطاني الأن بعض الرجال حولي بعضا من الفول الذي أريد أن أذهب لآكلة وأن أشكرهم عليه!

راشيل

## الرسالة الرابعة

#### ۲۸ فیرایر ۲۰۰۳

(إلى والدتها)

شكرا لك يا أمى على ردك على رسالتى الإلكترونية. أننى أجد راحة حقا فيما يصلنى منك ومن كل الذين يهتمون بى.

بعدما كتبت لك قضيت حوالى عشر ساعات بعيدا عن باقى أفراد المجموعة عند عائلة في الخطوط الأمامية لحى السلام، الذين أعدوا لى العشاء وكان تلفزيونهم متصلاً بالقنوات الفضائية. الحجرتان الأماميتان للبيت لا تستخدمان لأن رصاص البنادق قد اخترق حوائطهما قبل ذلك، فتنام العائلة كلها: الأطفال الثلاثة والأبوان في حجرة الأبوين. أما أنا فنمت على الأرض بجوار "إيمان" الابنة الصغرى واقتسمنا البطاطين فيما بيننا. وقد قمت بمساعدة الابن لإنجاز واجب اللغة الإنجليزية ثم شاهدنا جميعا فيلم رعب بعنوان PCCemeter. اعتقد أنهم جميعا ضحكوا على ما عانيته أثناء مشاهدة الفيلم. يوم العطلة هنا هو الجمعة، وعندما استيقظت من النوم كانوا يشاهدون Summy Bears ما الموقت . كانوا يشاهدون وبطا البطاطين مع أفراد العائلة نشاهد ما بدا لى وكأنه أفلام مستمتعة بوجودى وسط البطاطين مع أفراد العائلة نشاهد ما بدا لى وكأنه أفلام كرتون السبت صباحا. ثم ذهبت مشيا إلى حي برازيل حيث يسكن نضال ومنصور

والجدة ورفعت وبقية أفراد العائلة الكبيرة التى تبنتنى وفتحت لى قلبها. (على فكرة منذ أيام أعطتنى الجدة محاضرة بالإشارة كان فيها كثير من النفخ وإشارة إلى شالها الأسود، وقد طلبت من نضال أن يقول لها أن والدتى سيسعدها أن تعرف أن ثمة شخصاً هنا أعطانى محاضرة عما يسببه التدخين من سواد فى رئتى) وقد قابلت زوجة أخيهم التى كانت تزورهم قادمة من مخيم نصيرات ولعبت مع طفلها الرضيع.

إنجليزية نضال في تحسن كل يوم. وهو الذي يطلق على "أختى" ويدأ في تعليم الحدة كيف تقول ""Hello.Howareyor!". في كل لحظة نسمع الدبايات واليولدوزرات وهي تعبر، ولكن يظل هؤلاء الناس بشوشين حقا مع بعضهم البعض ومعى. عندما اكون مع أصدقائي الفلسطينيين أشبعر برعب أقل مما أشبعر به وأنا أحاول أن ألعب دور مراقبة حقوق الإنسان، أو دور من يقوم بالتوثيق أو بالقاومة الماشرة. أنهم مثال رائع على ما يجب أن يكون عليه الإنسان في ذلك المشوار الطويل. وأعرف أن الوضع يسبب لهم الأذي، وريما كسرهم تماما في النهاية على كل المستويات، ومع ذلك فأنا مندهشة من تلك الصلابة في الدفاع إلى أقصى حد عن إنسانيتهم، قدرتهم على أن يضحكوا وأن يكونوا كرماء وأن يمضوا أوقاتا عائلية بالرغم من الرعب الذي لا يمكن تصديقه في حياتهم وفي مواجهة الوجود الدائم للموت. لقد شعرت بتحسن كبير بعد هذا الصباح. أمضيت وقتا طويلا في الكتابة عن الشعور بالإحباط بسبب إكتشاف المرء بنفسه درجة الشر التي مازال الإنسان قادرا على ممارستها. ويجدر بي الإشارة على الأقل أنني أكتشف درجة الصلابة والقدرة الإنسانية الأصيلة للحفاظ على إنسانيتنا في ظل أسوأ الظروف، والتي لم أر مثلها من قبل أيضا. اعتقد أن الكلمة التي يجب استخدامها هي الكرامة الإنسانية. اتمني لو كان بإمكانك رؤبة هؤلاء الناس. ولعلك تستطيعين يوما.

راشيل.

تابع الرسالة الرابعة في ٢٨ فبراير ٢٠٠٣

أتصور أنه بالامكان أن أشهد في حياتي قيام دولة فلسطينية أو دولة ديموقراطية

للإسرائيليين والفلسطينيين. وأعتقد أن تحرر فلسطين سيكون مصدر أمل كبير لكل الشعوب المناضلة في العالم، وسيكون كذلك في تصوري مصدر إلهام للشعوب العربية في الشرق الأوسط والتي تناضل ضد أنظمة غير ديموقراطية تدعمها الولايات المتحدة.

إننى أتطلع لزيادة وعى من هم مثلنا، أنا وأنت، من أفراد الطبقة الوسطى الميسورين ليدركوا طبيعة الأنظمة التى أسست لهم ما يتمتعون به من امتيازات، وليبدأوا فى مساندة عمل أولئك المحرومين من تلك الامتيازات فى محاولتهم هدم هذه الأسس.

وإتطلع لمزيد من اللحظات الشبيهة بالخامس عشر من فبراير حين أفاق المجتمع المدنى كله وقدم دليلا قويا ومدويا على يقظة الضمير، وعدم الرغبة فى الخضوع للقهر، وعلى التعاطف مع معاناة الآخرين. وإتطلع لوجود مزيد من المدرسين من أمثال مات جرانت وباربرا ويفر وجيل كنوث الذين يعلمون الأطفال فى الولايات المتحدة التفكير النقدى. وأتطلع للمقاومة الدولية الموجودة الآن والتى أثرت التحليلات فى مختلف القضايا، وخلقت حوارا بين مجموعات متباينة من البشر. وإتطلع لنا جميعا نحن حديثى العهد إلى محاولة تنمية قدرات أفضل للتعامل فى أشكال ديموقراطية وعلاج أنفسنا من التمييز ضد كبار السن وعلاج أنفسنا من التمييز ضد كبار السن والمعاقين، ثم محاولة أن يكون لنا تأثير أكير.

شيء آخر أفكر فيه كثيرا فيما يتعلق بالاحتجاجات العامة مثل تلك التي نظمت منذ عدة أسابيع وحضرها ١٥٠ شخص فقط.. عندما أنظم أو أشارك في احتجاج عام أقلق كثيرا من أنه سيكون فظيعا، سيكون العدد صغيرا، مخجلا، وسنكون أضحوكة بالنسبة للإعلام. في عطلة نهاية الأسبوع التي تلت مظاهرة ال١٠٠١ شخص تمت دعوتنا لمظاهرة اشتملت ربما على ٢٠٠٠ ورغم أن مظاهرتنا كانت صغيرة وبالطبع لم يكن هناك تغطية لها في العالم، إلا أن كلمة "رفح" وجدت لها مكانا خارج الصحافة العربية. لقد أمد كولين المتظاهرين في سياتل بلافتة بالإنجليزية والعربية تقول أل للحرب على رفح وعلى العراق." وقد نشرت صوره في الموقع الإكتروني لرفع اليوم والذي يعده رجل هنا اسمه محمد. وقد رأى الناس هنا وفي أماكن أخرى هذه الصور.

وافكر بجلن الذي كان يضرج كل جمعة طوال عشر سنوات بالفتات تحمل عدد الأطفال القتلى نتيجة العقوبات الاقتصادية على العراق. وأحيانا لا يكون معه سوى شخص واحد أو شخصين، وقد كان الجميع يعتقد أنهم مجانين بل وكانوا يبصقون عليهم. والآن هناك أعداد أكثر بكثير في لقاءات الجمعة المسائية تلك

أنها أعداد تملأ التقاطع ما بين شارع فورث وشارع سنيت، ويدق المارة لهم أبواق السيارات ويلوحون بإشارات التشجيع والتحية. لقد خلقوا أساسا مكن غيرهم من الناس من القيام بشىء ما. لقد بصق الناس عليهم ولكن ذلك قد فتح الطريق ليأتى شخص ويجد من السهل عليه أن يقوم بإرسال خطاب حول القضية إلى جريدة ما، أو أن يلتحق بالصفوف الخلفية لمظاهرة أو يقوم بأى شىء لا يبدر بضحكا وسخيفا مثلما بدا وقوف هذا العدد الضئيل على جانب الطريق حاملين أعداد الأطفال القتلى في العراق ومعرضين أنفسهم لبصقات الآخرين.

ان مجرد سماعي عما تقومون به يخفف من شعوري بالوحدة وعدم جدوي ما أفعله وبانني كالخيال غير للرئي. ان في تلك الأبواق وإشارات التشجيع ما يعين على التحمل، وكذلك الصور وكذلك كولين. فلا الإعلام الدولي ولا حكومة بالادنا سوف تقول لنا إننا مؤثرون أو مهمون أو على حق فيما نقوم به من عمل ولن تصفنا بالشجعان أو أصدحاب العقول والقيم. علينا أن نقوم بذلك لبعضنا البعض، وأحد المرق للقيام بذلك هو أن نقوم بعملنا بحيث يراه الجميع.

كما أعتقد أنه من المهم بالنسبة للناس في الولايات المتحدة بما عندهم من غني أن يدركوا أن المحرومين سيقومون بهذا العمل إيا كان الأمر لأنهم يعملون في سبيل حياتهم. فإما أن نعمل معهم ويعلمون أننا نعبل معهم أو أن نتركهم يقومون بالعمل بأنفسهم ويلعنوننا على تواطؤنا في قتلهم. والحقيقة إنني لم أشعر هنا أن أحدا يلعنني. أشعر هنا كذلك أن الناس أكثر اهتماما فعلا براحتنا المباشرة وبصحتنا من اهتمامهم بأننا نعرض حياتنا للخطر من أجلهم. على الأقل هذا هو الوضع بالنسبة لي. فالناس تماول أن تقدم لي الكثير من الشاي والطعام في ظل طلقات النار وتفجيرات القنابل.

راشييل

## الرسالة الأخيرة

#### تحیاتی یا ابی

أشكرك على رسالتك. أشعر أحيانا أننى أقضى كل الوقت في إلقاء خطب الدعاية على امى مفترضة إنها ستعطيك الرسائل لتقرأها، وبذلك أهملك أنت. لا تقلق على كثيرا، أن أكثر ما يشغلني هو عدم قدرتنا على التأثير حتى الآن. ولا زلت لا أشعر بخطر كبير. تبدو رفح مكانا أكثر هدوءا مؤخرا، ربما لان الجيش مشغول بغاراته في الشمال، ما زال إطلاق النار وهدم البيوت مستمرا، وقد قتل شخص واحد هذا الاسبوع في حدود علمي، ولكن لا غارات واسعة. ولست أدرى كيف ستتغير الأمور إذا ما بدأت الحرب مع العراق ومتي.

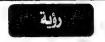
اشكرك كذلك على تصعيد عملك في مناهضة الحرب. أعرف أن ذلك ليس سهلا، وبالقطع هو عمل أصعب عندك مما هو حيث أنا الآن. أنا مهتمة فعلا بالحديث إلى الصحفي في شارلوت أرجو أن تخبرني بما على عمله للإسراع بهذا الموضوع. أحاول أن أقرر ما سأفعله عندما أرحل من هنا، ومتى سأرحل من هنا. حتى الآن أعتد أنني يمكن أن أبقى حتى يونيو، من الناحية المادية. وأنا لا أريد حقا العودة إلى أوليمبيا، ولكنى أحتاج لتصفية بعض أمورى والحديث عن تجاربي هنا. ومن الناحية الأخرى وحيث أننى قد عبرت المحيط الأطلاطي فإن بي رغبة قوية للبقاء في هذه الجهة لبعض الوقت. أفكر في محاولة إيجاد وظيفة لتدريس الإنجليزية، وأتمنى حقا أن أجتهد في تعلم العربية.

كما إننى تلقيت دعوة لزيارة السويد في طريق عودتي، ويمكنني القيام بذلك بسعر رخيص. واود كذلك أن تكون عندي خطة واضحة للعودة حين أغادر رفح. واحدة من الاعضاء الأساسيين في مجموعتنا ستغادر غدا، وقد ادركت وأنا أراقبها وهي تودع الناس كم سيكون ذلك صعبا. فالناس هنا لا يستطيعون المغادرة، وهو ما يعقد الأمر. وهم يتحدثون ببساطة عن عدم ثقتهم في بقائهم على قيد الحياة عند عودتنا مرة أخرى.

انا لا أريد أن أعيش بشعور عميق بالذنب تجاه هذا المكان، لأننى قادرة على الزيارة والمغادرة بكل سهولة، وقادرة كذلك على عدم العودة هنا مرة أخرى. أعتقد أن الارتباط بالمكان شيء ذو قيمة، ولذلك أود أن أستطيع التخطيط للعودة هنا في خلال سنة تقريبا. ومن كل هذه الاحتمالات أعتقد أن الاحتمال الأقرب هو أننى على الأقل سأذهب للسويد لعدة أسابيع في طريق عودتي. أستطيع تغيير تذكرة الطائرة من باريس إلى السويد والعودة بعبلغ ١٥٠ دولار تقريباً. أعرف أنه يجب أن أحاول اللحاق بالعائلة في فرنسا، ولكننى أعتقد أننى لن أفعل ذلك. كما أن في ذلك انتقاصا لكثير من الشعور بالذنب الطبقى، طوال الوقت.

أخبرنى ماذا تفكر أنت بما على أن أفعله في حياتي القادمة. أحبك كثيرا. تستطيع إن أردت أنت أنت بلى وكأننى في إجازة في مخيم على جزيرة كبيرة في هاوي حيث أتعلم أشغال الإبرة. لأخفف على نفسى هنا أحيانا ما أنسحب تماما إلى عالم الأوهام: أتضيل نفسى في فيلم من أفلام هوليود أو مسلسل تلفزيوني من بطولة مايكل فوكس. فلا تتردد في تخيل أي شيء وسيسعدني أن أشاركك اللعبة. حبى الكثيريا أبي.

راشييل.



# رؤية محمد مندور في السياسة والاقتصاد والاجتماع قراءة في خطاب مفكر طليعي

د.إيمان السعيد جلال استاد اللغويات المساعد كلية الألسن - جامعة عين شمس

تعددت إنجازات الدكتور محمد مندور (١٩٠٧ - ١٩٥٧) في سنوات عطائه المتدة عبر الأربعينيات والخمسينيات وحتى منتصف الستينيات، فمارس العمل الاكاديمي(١) والعمل الصحفي والمحاماة وعضوية البرلمان، مثلما جمع من قبل في دراسته بين الادب واللغة والقانون والسياسة والاقتصاد والاجتماع.

والسطور التالية توجه عنايتها إلى إنجاز محمد مندور الوطنى باعتباره رمزًا من رموز الكفاح السياسى ورائدًا من رواد الفكر الاقتصادى والاجتماعى، وعلمًا من أعلام كتّاب المقال السياسى فى فترة من أصخب وأخصب فترات الحركة الوطنية المصرية فى العصير الحديث.

#### النشنأة والتكوين

دخل محمد مندور معترك الحياة السياسية في فترة حرجة من تاريخ مصر الحديث، وهي الفترة الممتدة من نهايات الحرب العالمية الثانية، وحتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢. وقد مارس في هذه السنوات العمل الصحفي والعمل السياسي من خلال حزب الوفد الذي بدأت صلته الفعلية به في منتصف الأربعينيات.

وكان وعيه السياسي والوطني قد تفتح مبكرًا جدًا! فقد تأثّر بأحداث ثورة ١٩٩٩ التي شهدها بعيني صببي في الثانية عشرة، إذ إنه ولد في ١٩٠٧/٧/ في إحدى قرى مركز منيا القمح، الأسرة ريفية تجمع بين الوطنية والتدين، وعايش في هذه القرية معاناة الفلاحين البسطاء الذين نشأ بينهم وتعلق بهم وبأرضه وبوطنه البائس.

ثم شهد بعينيه حادثة «بحر مويس» التى قتل فيها قرابة ١٥٠ من الفلاحين برصاص الجنود الإنجايز، وتساقطت جثثهم فى بحر مويس، وجرف التيار بعضًا منها إلى القناطر التسع بالزقاريق. وظل الفلاحون يذكرون هذه المجزرة، كما ظلت محفورة فى ذاكرة مندور حتى روى تفاصيلها لفؤاد دوارة فى كتاب «عشرة أدباء يتحدثون» قبيل وفاته بشهور قلية (٢).

وبرز حسه الوطنى عاليًا فى شبابه المبكر عندما شارك فى إضراب، وقاد إحدى المظاهرات التى تزعمها الطلبة ضد الإنجليز وحكومة زيور التى خلفت حكومة سعد زغلول إثر مقتل السردار فى نوفمبر ١٩٧٤. وكان مندور حينتز طالبًا فى البكالوريا، فقصل من المدرسة، وحصل على الشهادة من المنزل.

وفي عام ١٩٢٥ التحق مندور بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا) وكانت نيته أن يلتحق بكلية الآداب بكلية الدول الحقوق، وأن يصبح وكيلاً للنيابة، ولكن طه حسين أقنعه أن يلتحق بكلية الآداب أيضًا، فجمع بين الدراستين، وحصل على ليسانس الآداب في اللغة العربية سنة ١٩٢٩، وهو العام نفسه الذي ابتعث فيه إلى فرنسا للالتحاق بالسروون، للحصول على ليسانس الآداب واللغات اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية وفقها المقارن، ثم لتحضيل الدكتوراه في الأدب العربي.

وقد حصل بالفعل على ليسانس الآداب، لكنه لم يتصرف بعد ذلك إلى تحضير الدكتوراه، بل شغلته دراسة القانون والاقتصاد والسياسة، مثلما كانت دراسة القانون هي هدفه الأول عند الالتحاق بالجامعة، فحصل على دبلوم في القانون والاقتصاد السياسي والتشريع المالي، ودرس مذاهب الاقتصاد وفلسفته، والنظم الضريبية والتشريع المالئ، وحضر محاضرات في الفلسفة والتاريخ والاجتماع وعلم النفس، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٩ دون دكتوراه(٣).

إن أمر هذا التكوين العلمي لافت للنظر، فمحمد مندور الذي يعد - بحق - شبيخ النقاد

العرب في الغصس الصديث لم يُعِدّ نفسه مطلقًا لكي يكون ناقدًا، بل اتجه إلى دراسة القانون.. ثم لم يجد باستًا في إن يدرس معه الأدب العربي.. ثم إنه في فرنسا يكتفي بالليسانس ويولي وجهه شطر دراسة القانون والاقتصاد والاجتماع، وكانما كان يعد نفسه لكي يكون كانبًا سياسيًا مرموقًا!

#### النضال الوطنى

ويبدو أن مندور توقف عن كل نشاط سياسي، حتى ولو كان قلميًا منذ حادثة فصله من المدرسة حتى عام ١٩٣٦، فإنه لم يُشر إلى شيء من هذا في سيرته التي رواها لفؤاد دوارة، ويبدو أن هذه السنوات كانت تمثل مرحلة تكوين اكتفى فيها بتلقى العلم والثقافة، ومتابعة ما يجرى من أحداث في بلاده وفي العالم. حتى كان عام ١٩٣٦ - في أثناء بعثته عندما نشر مقالات سياسية في الصحف الفرنسية، شرح فيها للرأى العام الفرنسي مسالة الامتيازات الأجنبية التي كانت الحكومة المصرية تتفاوض لإلغائها، وإلغاء المجاكم المختلطة، وبنه الفرنسيين إلى أن معارضة حكومتهم لهذه الرغبة الوطنية المصرية ستجعل الفرنسيين يخسرون وضعهم المتميز في مصر. ورد عليه وكيل الخارجية الفرنسية، وكان رئيس وفد يخسرون وضعهم المتميز في مصر. ورد عليه وكيل الخارجية الفرنسية، وكان رئيس وفد بلاده في مفاوضات مونترو، وساجله مندور، الذي روى أنه استطاع أن يقنع الراى العام الفرنسي بوجهة النظر المصرية. وكان ما كتبه مندور يعبر عن توجه حزب الوفد، ويقوّى موقفه في مفاوضات مونترو، فتقبل ما كتبه مندور يقبول حسن.

عاد محمد مندور من فرنسا، بدون دكتوراه، فتعقدت علاقته بأساننته، بخاصة طه حسين، واصطدم بكثير منهم، وسارت الأمور من سيئ إلى اسوا، حتى بعد انتقاله إلى جامعة الإسكندرية سنة ١٩٤٢، وبحصوله على الدكتوراه سنة ١٩٤٣، وانتهى الأمر إلى استقالته من الجامعة في إبريل ١٩٤٤، وكان مدير جامعة الإسكندرية الدكتور طه حسين قد رفض ترقيته بعد حصوله على الدكتور اه(٤).

ووجد مندور في استقالته من الجامعة فرصة ليتفرغ للعمل الصحفي، في هذه الفترة من تاريخ مصدر، فقد أدرك أنها فترة حاسمة في تاريخ الوطنية المصرية، بعد ما يزيد على ستين عامًا من الاحتلال، وبعد تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية واتساع فجوة التفاوت الطبقي في أعقاب الحرب.. وقد كتب في مقال له عنوانه دمن اعماق السجن، يقول: دوعدت (أي: من أوربا) مشتعل القلب، فحرصت على أن أضع جهودي المتواضعة في خدمة هذا الوطن، وإنا أتصرّق إلى أن أراه وطنًا كبيرًا قويًا حرًا، وهذا هو ما دفعني إلى ترك العمل بالجامعة لأجاهد في الحياة العامة «(٥).

كان المشهد الثقافي في مصر - عند عورته من فرنسا - يضم السلفيين التقليديين في السياسة، وفي الأدب أيضًا، كما كان يضم جيل الليبراليين الذين تلمذ لهم مندور من أمثال لطفى السيد وطه حسين وغيرهما، وكلا الفريقين كانت أفكاره تحتاج إلى مناقشة، وكانت الصحافة هي الميدان الملائم لطرح أفكاره في السياسة والأدب.

كتب دكتور جابر عصفور، موضّعًا طبيعة هذه المواجهة بين الجيلين: «أصبحت الحاجة ماسة لمواجهة بقايا القديم في صوره الإحيائية والسلفية، ومواجهة الجديد في صوره الليرالية، وما يصاحبها من نزوع بالغ إلى الفردية، وزاد من ضرورة هذه المواجهة ما ظهر في الفلسفة الفردية التي تبناها الرواد من قصور متزايد، سواء في الفكر السياسي، أو في الفكر الادبي. وكان على الجيل الجديد - جيل مندور - مواجهة هذا القصور وتجاوزه، والتحول من صيغة الفردية الليبرالية إلى صيغ متعددة تحاول مجاوزة ازمة المجتمع المصرى التي تزايدت في أواخر الثلاثينيات وما أعقبها (١٠).

لقد أصبح لزامًا على الطليعة من الجيل الجديد أن يبشروا بصبغ جديدة قادرة على مواجهة ما عجز عنه الليبراليون مثل قضية الصراع الطبقى باعتبارها جوهر الأزمة في المجتمع المصرى منذ نشوب الحرب العالمية الثانية «وكان على الجيل الجديد الذي بدأت جهوده تقريبًا مع نشوب الحرب العالمية الثانية أن يطرح صيفًا متعددة، أخذ بعضها شكل الديمقراطية الاجتماعية التي تبناها مندور ودعا إليها، أو شكل الاشتراكية الديمقراطية عند لوس عوض»(٧).

#### محمد مندور وحزب الوفد

في أعقاب استقالته من الجامعة تحولت علاقة مندور بحزب الوفد من مجرد التأييد والسائدة، التي تبدت في مقالاته بالصحافة الفرنسية سنة ١٩٣٦ - إلى مشاركة فعلية في الحزب وصحفه، عندما أسند إليه محمود أبو الفتح، صاحب جريدة «المصري» - لسان الوند - العمل رئيسًا التحريرها سنة ١٩٤٤. لكن الأمر لم يستمر سبوى ثلاثة شهور، اختلف بعدها مع «أبوالفتح» وترك العمل بالصحيفة. وسرعان ما عُهد إليه بإدارة تحرير صحيفة والوفد المصري» في ١١ فبراير ١٩٤٥، ثم برئاسة تحريرها في ٢١ يونيو من العام نفسه. على من خلال حزب الوفد - تحديدًا - وصحفه، على الرغم مع اختلافه على من خلال حزب الوفيدية، بأنه كان محاولة لتعزيز اتصاله بالرأى اليدولوجيًا مع قيادات الحزب اليمينية التقليدية، بأنه كان محاولة لتعزيز اتصاله بالرأى العام من خلال حزب الأغلبية.. يقول: «لم أجد ميدانًا استطيع أن أجمع فيه بين العمل السياسي والعمل الأدبى كناقد متخصص إلا في الصحافة، حيث رأست تحرير جرائد المصرى، ثم الوفد المصرى، ثم صوت الأمة، كما أصدرت لحسابي الخاص مجلة البعث، المصرى، وفي الي أنني أستطيع تطوير هذا الحزب من داخله بكتاباتي الثورية في جماهير المصعرية وذلك مع تدعيم المشاعر الوطنية بقيم فكرية، تستطيع أن تصمد مع الشعب العريضة، وذلك مع تدعيم المشاعر الوطنية بقيم فكرية، تستطيع أن تصمد مع الشعب العريضة، وذلك مع تدعيم المشاعر الوطنية بقيم فكرية، تستطيع أن تصمد مع الشعب العريضة، وذلك مع تدعيم المشاعر الوطنية بقيم فكرية، تستطيع أن تصمد مع الشعريفة، وذلك مع تدعيم المشاعر الوطنية بقيم فكرية، تستطيع أن تصمد مع المسري العريضة، وذلك مع تدعيم المساعد العريضة وناك مع تدعيم المساعد العريضة وناك من الشعب هد وترب الوطنية وتعيم المساعد العريضة وتربية وترب الوطنية وتربية و

الزمن، ولا تنطفئ وشيكًا كما تنطفئ الثورات العاطفية «(٨).

### الكاتب السياسي الأول في صحف الوفد

وبالتحاقه بجريدة «الوفد المصرى» - اكبر الصحف الوفدية - منيرًا للتحرير، فرئيسًا للتحرير أصبح مندرًا للتحرير، فرئيسًا للتحرير أصبح مندور الكاتب السياسي الأول بها، وكان هذا المنصب يفرض عليه أن يكتب مقالاً - أو أكثر - في كل عدد من أعداد هذه الجريدة اليومية، فكان يوقع المقال الافتتاحي باسمه، ويوقع غيره من المقالات برمز الحرفين الأولين من اسمه (مم،) أو بالحرف الأول فقط (م).

وبعد شهور قليلة من رئاسته لتحرير «الوفد المصرى» التحق بها الدكتور عزيز فهمى(٩)، بوصفه كاتبًا سياسيًا كبيرًا، فشارك مندور هذه المكانة، وكانا يتبادلان كتابة المقال الرئيس على الجانب العلوى الأيمن من الصفحة الأولى يوميًا، أو على عمود مزدوج يسار الصفحة الثانية بالتبادل أيضًا.

وقد أتاحت له هذه الكتابة المكثفة أن يبسط أفكاره، وأن يتابع الأحداث الجارية يوميًا، وأن يلح على الأفكار التي يريد أن يرسخها، وأن يتدرج في تناول الموضوعات، وينمو بها بصورة لم تتح لفيره من كتّاب الصحف الأسبوعية.

قدم مندور بجانب مقالاته في السياسة والاقتصاد والاجتماع سلسلة من الموضوعات الصحفية، جعل عنوانها «براويز» اعتمد في مادتها على تقرير سنوى تصدره الجاليات الاجنبية في مصدر بالفرنسية بعنوان «حولية الشركات» يتضمن ملخصًا لميزانيات الشركات، والمرتبات التي يتقاضاها اعضاء مجالس الإدارات في الشركات المختلفة، وكان مجموع ما يتقاضاه بعضهم يتجاوز مائة الف جنيه سنويًا، من مجموعة شركات. وكانت الجريدة تنشر يوميًا اسم واحد من هؤلاء الباشوات، وقائمة بعدد الشركات التي يعمل عضوًا بمجلس إدارتها، وأمام كل شركة مقدار مكافآته منها.. ثم مجموع هذه المكافآت... وتكتفي الجريدة بالتساؤل حول إمكانية أن يخدم هذا الباشا كل هذه الشركات، بما يجعله مستحقًا لكل هذه الشركات، بما يجعله مستحقًا لكل هذه المكافآت. ١٠

وبذلك استطاع مندور أن يعيد الحياة إلى تلك الجريدة التى قال عنها إنها كانت مسائية مية (١). غير أنه أغضب باشوات حزب الوفد الذين يمتلون الزعامات التقليدية، وكانوا فى معظمهم من العناصر الرأسمالية الإقطاعية التى انضمت للوفد سنة ١٩٣٦ دون الاعتبار بماضى جهادهم، مما أثر فى تكوين الحزب وتوجهاته. غضب هؤلاء الباشوات على الرغم من أن مندور ابتعد عن النيل منهم فى هذه «البراويز» سالفة الذكر، وكتب يقول: «وما لبثت هذه الجريدة أن أصبحت مركزًا لحركة تقدمية داخل حزب الوفد نفسه، رغم معارضة باشواته، فقد حواتها إلى ما يشبه المنشور اليومى الثوري، ووصلت فيها بالمعارضة

السياسية الصلبة إلى أبعد الصدود وجعلت منها سوط عذاب على الإنجليز والسرائ واننابها من الأقليات التي لم يكن لها هم سوى التريص للحكم ومغانمه (١٢).

#### محمد مندور والطليعة الوفدية

بدا مندور بانضمامه للوفد يؤدى دورًا مهمًا في دفع القضية الوطنية، مع ربطها ربطًا وثيقًا بالمشكلة الاجتماعية، واضطراب بنية المجتمع المصرى، وكانت قيادات الوفد التقليدية قد شاخت وأصابها الجمود والفتور، وبدأت آراء مندور التقدمية تثير قلق هذه القيادات التي تنتمي إلى العناصر الإقطاعية وكبار الملاك، وقد جعل شعار «العدالة الاجتماعية» أحد أهداف الوفد الثلاثة التي تتصدر الصفحة الأولى من الصحيفة: «استقلال وأدى النيل الديمقراطية السياسية – العدالة الاجتماعية» فسوّى بذلك بين أهمية تحقيق الاستقلال للوطن، وأهمية إحراز العدالة الاجتماعية، فسوّى بذلك بين أهمية تحقيق الاستقلال للوطن، وأهمية إحراز العدالة الاجتماعية لمواطنيه.

لم يكن هذا الصوت الجديد هو صدوت مندور وحده، بل هو صدوت تيار جديد في صفوف الوقد، يضم طليعة الشباب التقدمي المؤمن بالعدالة الاجتماعية. وقد عمل هذا التيار تحت اسم «الطليعة الوفدية» فيما بين عامى ١٩٤٥، ١٩٤٧، حتى ظهر في صدورة تنظيم تابع لحزب الوقد في مارس ١٩٤٧، وكان لهذا التيار إدراك خاص للقضية الوطنية من خلال فهمه لظروف السياسة الدولية الناتجة عن قيام الأمم المتحدة، وكيف يمكن لمصر أن تفيد منها، ودعا إلى الحياد، وأدرك الصلة بين الاستعمار والرجعية المطية.

وقد ارتبط هذاً التيار بتقاليد الوفد في الدفاع عن الأستقلال والصريات ودعم الحياة النيابية، مع النزوع التقدمي، والإيمان بمبادئ العدالة الاجتماعية.

وكان مندور هو آبرز اعضاء هذا التنظيم الطليعى الخارج من عباءة الوفد، وقد جلب عليه هذا التوجه الاجتماعي كثيرًا من المشكلات.. يقول: «أحسست بحركة تذمر ضدى بين الجناح الإقطاعي اليميني في الحزب، في الوقت الذي أصبحت فيه الجريدة مكان تجمع لما عُرف وتتنز بالطليعة الوفدية، والشباب الوفدي التقدمي الذي يبدو أنه كان يضم عددًا من الشيوعيين. ولكنني على أية حال لم يكن لي في يوم من الأيام اتصال بالحزب الشيوعي ومنظماته.. وإذا كنت وضعت بين شعارات جريدة الوفد المصرى التي كانت تنشر تحت عنوانها كل يوم شعار العدالة الاجتماعية، فقد كنت مدفوعًا في ذلك بنزعة إصلاحية خالصة كانت تدعوني إلى مناصرة العدل بين المواطنين، وتقريب المسافة بين الثراء الفاحش والفقر المدقع الذي كانت تتردي فيه الملايين «(١٣).

#### اتهام بالشيوعية!

كان هذا التوجه الاجتماعي سببًا في اتهام مندور بالشيوعية، والزج به في السجن في

حملة إسماعيل صدقى التى استهدفت طليعة المُقَفِين في يوليو ١٩٤٣، والتي صادر فيها اثنتي عشرة صحيفة مصرية من بينها «الوفد المصري» التي عطات نهائيًا.

لقد نفى مندور عن نفسه أي صلة بينه وبين الحزب الشيوعي، وأكد أنها مجرد نزعة إصلاحية ومناصرة للعدل بين المواطنين، وقد تحدث فيما بعد عن هذا «الاتهام» بالشيوعية، وقال إنه كان اتهامًا «رخيصًا».. يقول: «لقد طال انين الشعب المصرى من سوء أحواله، ولقد طالبنا بإصلاح هذه الأحوال، حتى بلغ الأمر ببعض الخصوم المغرضين غير الشرفاء أن حاولوا النيل منا بالدس والاتهام بالشيوعية، وهو اتهام رخيص، لا يمكن أن يحول بيننا وبين ما نؤمن به من حب للإنصاف والعدل، ومن رفق بهذا الشعب الذي نشأنا بين الصاحانة في الريف، ولسنا ما يشكو منه من أفات منزمنة، لعل الفقر بؤرتها الاساسية (١٤٤).

كان مندور إذًا أحد أبرز الدعاة إلى الإصلاح الاجتماعي، وقد حاول أن يتوسط بين أقصى اليمين وأقصى اليسار.. يقول دكتور جابر عصفور: «إذا نظرنا إلى الفكر الليبرالى في هذه المرحلة على أنه نقيض الماركسية، نجد أن محمد مندور ظل يحاول التوسط بين النقيضين منذ آخر الثلاثينيات وطوال الأربعينيات، ويدعو إلى توازن الطبقات الاجتماعية عن طريق ما أسماه مذهب الديمقراظية الاجتماعية التي هي نوع من الراديكالية تواجه الحرية الفردية المالقة، وتدعو إلى تدخل الدولة للحد من الراسمالية المطلقة والبمالية المطلقة، فتوسط بذلك بين النقيضين، وتوازن بين الطبقات موازنة إصلاحية، والهدف إعادة بناء المجتمع للصرى على اساس جديد، يأخذ من الديمقراطية الليبرائية مفهوم الصرية، ويأخذ من الاشتراكية العلمية مفهوم السبيل إلى تحقيق العدالة العلمية مفهوم السبيل إلى تحقيق العدالة الاجتماعية التي كانت حلمًا يؤرق الإصلاحيين من جيل مندوره(١٥).

صوورت صحيفة «الوقد المصري» إذاً، وعطات نهائياً، كما صوورت مجلة «البعث»، وهي مجلة اسبوعية أصدرها مندور في ١٩٤٥/١٢/١٣ لحسابه الخاص، وشكل هيئة تحريرها من الشباب التقدمي، وعاونه الكاتب الكبير دكتور محمود عزمي بمقالاته الأسبوعية «في السياسة الدولية». وتمثل «البعث» حلقة من حلقات كفاح مندور الصحفي، وقد كتب عن هذا الكفاح رغم تواضع الإمكانات: «كنت بعد أن أجمع موادها، أحملها بنفسي إلى مطبعة «الرغائب» في شارع محمد على، حيث اسهر الليل كله حتى تجمع القالات، وأصححها ثم تطبع المجلة، وأسلمها بنفسي للباعة والمتعهدين، ثم أمرّ بعد ذلك في شوارع القاهرة افتش على التوزيم.. كل ذلك دون أن أنال أي قسط من النوم أو الراحة»(١٦).

لم يغب قلم مندور عن صفحات جريدة «الوفد المصرى» وهو سجين ايضنًا، حتى صويرت نهائياً في ١٩/٧/١٨، فكان يوافيها بمقالاته من داخل السجن حيث مكنه ضباط الشرطة الطرطة الطائية من كتابة مقالاته، وحملوها إلى الصحيفة لتنشر في موعدها، وتعرضوا بذلك

لأذى كثير.

من هذه المقالات التي نشرها عقب اعتقاله في ١٩٤٥/٧/١٩ مقال: «بين أمس واليوم» في ١٩٤٥/٧/٢٣ مقال: «بين أمس واليوم» في ١٩٤٥/٧/٢٣.

قضى محمد مندور فى السجن ستة وأربعين يومًا رهن التحقيق، فى حملة إسماعيل صدقى على طليعة المثقفين فى ١٩٤٦/٧/١١، وخرج ليجد أن قيادات الوفد اليمينية قد تخلت عنه، إذ تعهدت الإسماعيل صدقى بعدم إسناد رئاسة تحرير الجريدة الوفدية الجديدة إلى مندور فى مقابل أن يمنح صدقى الوفد رخصة جريدة جديدة هى «صوت الآمة». غير أن القدر احيط هذا الاتفاق، لأن حكومة صدقى اسقطت فى سبتمبر ١٩٤٦، وبذلك تولى مندور رئاسة تحرير «صوت الآمة» تلقائيًا (١٧) وظل رئيسًا المتحرير تتوالى مقالاته من ٢٠ سبتمبر ١٩٤٦، حتى أكتوبر ١٩٤٨.

#### ...

نجع محمد مندور -- متلما نجع الكتّاب الوطنيون الناضلون بالكلمة على صفحات الصحيون الناضلون بالكلمة على صفحات الصحيون المصحيون المحروون المحروون المحروون المحروون المحروون المحروون المحروون المحروون القراء، وإذا كان محمد مندور لم يدعُ صحاحة إلى الثورة، فقد استنفر مشاعر القراء، وأثار مواطنية ضد المعتدين على حقوقهم، احتلالاً كان أو سراى أو إقطاعيين، وكان ذلك خطوة مهمة في سبيل اختمار الفكر الثوري،

لقد أدى محمد مندور دورًا خالدًا عن اقتناع ودون أطماع في مجد شخصي، وبشجاعة جلبت له كثيرًا من المتاعب، وبفع ثمنها من استقراره وحريته وصحته وأمن أسرته، فقد نهب إلى الحبس الاحتياطي ما يزيد على عشرين مرة بين عامى (١٩٤٥، ١٩٤٦) وهما العامان اللذان رأس فيهما تحرير «الوفد المصري»، واعتقل ستة وأربعين يومًا في حملة إسماعيل صدقي على المثقفين، ورفض رشوته له بالعمل سفيرًا لصدر في سويسرا، مقابل أن يوقف منبور حملته الضارية على معاهدة صدقى – بيفن، وكان رد مندور على هذا العرض أنه يفضل الانتحار على خيانة الوطن(١٨).

لم يجن مندور من عمله بالصحافة والسياسة غير مجد الوطن.. وقد عمل في هذه الاثناء (٤٨ – ١٩٥٤) بالمحاماة ليضمن دخلاً لأسرته، اما عضويته بمجلس النواب عن دائرة السكاكيني، في اثناء الوزارة الوفدية الأخيرة، سنة ١٩٥٠ فقد عمل من خلالها رئيسًا للجنة التعليم وعضوًا باللجنة المالية، ومقررًا لميزانية وزارة المعارف.

كتب مندور في مقال «من أعماق السجن» يقول: «أما ما لم يكن يدور بخلدى فهو أن يزج بي في السجن نتيجة لهذه الفتنة الداخلية المخزية، وإن كانت روحي التي تعشق الحرية قد كانت دائمًا على أتم أهبة لأن أعذب وأضطهد واسجن وأنفي في سبيل الوطن، كما فعل الجيل الذي سبقنا إلى هذا المجد. أما وقد سارت الأمور إلى ما وصلنا إليه فأهلاً وسهلاً. أنتها الحرية للقدسة: ما أحلاك في النفس! حتى العذاب يهون من أجلك».

وعندما قيم مندور – قبيل وفاته بشهور معدودة – تجربته السياسية قبل الثورة. قال: 
«بالرغم من أن كفاحى داخل الوفد لم يكلل بالانتصار؛ لسيطرة الرجعيين الإقطاعيين 
والراسماليين على هذا الحزب الشعبى الكبير، إلا أننى غير نادم على خوض تلك المحركة، 
واعتبر اننى لم افقدها، بل استطعت من خلالها أن احقق مكاسب سياسية واجتماعية 
ثورية، لها أهميتها في المد الثورى الذي أخذ يزداد حتى تحقق النصر النهائي بغضل 
ضباطنا الأحرار في سنة ١٩٥٧ (١٩).

## مقالات في السياسة والاقتصاد والاجتماع

غذى محمد مندور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بعدد ضخم من المقالات الصحفية، وكان لثقافته القانونية والاقتصادية والاجتماعية اثر كبير في معالجة قضايا الوطن من زاوية السياسة الداخلية تارة، وعلاقتها بالسياسة الدولية تارة أخرى.

ففيما يتصل بالسياسة تناول: الجلاء والحياد، ورفض مبدأ الأحلاف العسكرية والدفاع المشترك، ودعا إلى تحرير البلاد العربية جميعًا، وإلى حيادها، كما دعا إلى إقامة نظام الدفاع العربي المشترك، وشغل بقضية وحدة وادى النيل (مصد والسودان)، ودافع عن الحق العربي في فلسطين، ودعا إلى استقامة الحياة النيابية وإلى الديمقراطية السياسية. أما القضايا الاقتصادية التي تنعكس بصورة مباشرة على الحياة الاجتماعية فقد عالج في الاساس قضية الاستقلال الاقتصادي بوصفه استكمالاً للاستقلال الوطني، ورفض سياسة القروض، ودعا إلى الضرائب التصاعدية التي تضمن العدالة بين المولين، ودعا إلى تحديد الملكية الزراعية، وإلى تأميم المرافق العامة (مياه - كهرباء - مواصلات) وسيطرة الدولة عليها، وطالب بوضع قانون للشركات يضمن عدم استغلال النفوذ، ودعا إلى إقامة القضاء عليها، وطالب بوضع قانون للشركات يضمن عدم استغلال النفوذ، ودعا إلى إقامة القضاء وضع حد ادنى لأجور العمال والفلاحين، وإلى إقامة نظام المتأمينات الاجتماعية لهم، وضع حد ادنى لأجور العمال والفلاحين، وإلى إقامة نظام المتأمينات الاجتماعية لهم،

كان كثير من هذه الدعوات ملهمًا لرجال الثورة فيما بعد، وهذا ما يجعلنا نؤكد أن محمد مندور كان واحدًا من أبرز الكتّاب الذين مهدوا لثورة يوليو ١٩٥٧.

وفيماً يلى استعراض لنماذج من القضاءا التي عالجها في مقالاته الصحفية: أو لا: القضايا السياسية:

## (١) الهجوم على حكومات الأقلعة

ما مندور حكومات الأقلية في الغالب لأسباب ثلاثة: أولها أنها غير دستورية ولا تمثل

الأمة، وثانيها أنها لا تنهض بقضية الوطن العليا وهى الجلاء التام، وثالثها أنها تعتدى على حريات المواطنين الذين يطالبون بحقوق الوطن.

أولا: استند محمد مندور في هجومه على حكومات الأقلية (محمود فهمى النقراشي، ومن بعده إسماعيل صدقي، ثم النقراشي مرة أخرى) إلى مبدأ أنه ينبغى أن يتولى الحكم وزارات يرضيي عنها الشعب ويختارها بكامل إرادته، فتكون ممثلة شرعية له، بخاصة عند التفاوض باسم الأمة في المفاوضات الثنائية، أو الحديث باسمها في المحافل الدولية.

كتب في مقال له عنوانة: «علاج الموقف» (٢٠) بعد أن قضت حكومة النقراشي تسعة أشهر (٢٧) مبينا أسباب الضعف ومحددًا العلاج.. فبدأ بتكوين الحكومة.. يقرل: «تقضى التقاليد (٢١) مبينا أسباب الضعف ومحددًا العلاج.. فبدأ بتكوين الحكومة بن الإغلبية في البرلمان، الاستورية الصحيحة بأن تتكون كل حكومة إما من الحزب صاحب الأغلبية في البرلمان، وفي هذه وأما من احدزاب مؤتلفة، إذا لم تكن هناك أغلبية واضحة لحزب من الأحزاب، وفي هذه الحالة تكون النسب بين عدد الوزراء من كل حزب مساوية لعدد أنصاره في البرلمان، ومع ذلك ننظر اليوم فنرى الأحزاب الثلاثة السعدي والدستوري والكتلي لكل منهم عدد من الوزراء مساو للآخر، مع أن للسعديين ما يزيد على مائة نائب وللدستوريين ما يقرب من السبعين، وأما الكتلة فليس لها إلا أقل من ثلاثين. وهذا أول شنوذ».

أما الشنوذ الآخر فيتعلق بعدم التجانس بين هؤلاء الأعضاء في المكومة الائتلافية «ويا ليت الأمر قد اقتصر على الشنوذ في نسبة عدد الوزراء، وكان بينهم شيء من التجانس أو النظام أو القيادة الموحدة. فالوزارة مكونة الآن من رجال، يعرف الخاص والعام مبلغ ما كان ولا يزال بينهم من خصوصات وتنافس وانواع من الكبرياء الظاهر والمكتوم، ورئيس الوزراء لا يملك من النفوذ على اعضائها ما يستطيع أن يرد جماصهم، ويؤلف بين مجهودهم.. وهذا هو الشنوذ الثاني».

أما الشنوذ الثالث فيترقب على الأمرين السابقين، ويتصل بعقم إنتاج هذه الحكومة غير المتجانسة، ويحدد مندور أسباب هذا العقم بقوله: «أولاً كثرة الخلافات بين الوزراء..، ثانيًا انصراف الحكومة إلى الانتقام بدلاً من العمل لمصلحة البلاد، وإلى الهدم بدلاً من البناء» ويذكر تحت السبب الثانى الصراع الحزبي بين الحكومة المؤلفة من أحزاب الأقلية، وبين حزب الأغلبية (الوفد) وهو خارج الحكم.. وهذا يؤدي إلى الانصراف عن العمل الإيجابي لخدمة البلاد داخليًا وخارجيًا، وذلك هو الشذوذ الثالث.

ثم يصل إلى ما يترتب على عدم تجانس الوزراء وعقم الإنتاج، وهو ضعف الحكومة فيقول عنه: «كانت لذلك أسوا النتائج على حريات البلاد الخارجية والداخلية على السواء، ففي الخارج لم تستطع إلى اليوم أن تفتح باب الفاوضة، بل ولا أن تحصل على وعد بالمفاوضة مع إنجلترا في المسائل الخطيرة... وفي مجال الحريات جاهد مجلس الشيوخ ما جاهد ليفك قيود الأحكام العرفية فلم يستطع أن يصل مع الحكومة إلا إلى شيء ضئيل لا ضمان



فيه، وهو قرار من مجلس الوزراء بإطلاق حرية الصحافة وحرية الإبداع والحرية الشخصية». وهذا هو الشنوذ الرابع.

لقد حدد مندور في مقاله فساد الوضّع القائم وشنوذه منتقلاً من مشكلة إلى الشكلة التي تليها وتترتب عليها، ثم ينتهي إلى رأيه في علاج الموقف الذي مهد له بكل هذه المقدمات:

«وَالْآنَ ما هو العلاج الذي لم يعد منه بد لإصلاح كل هذه المظاهر الشاذة؟ العلاج واضع، وهو يتلخص في وجوب استقالة هذه الحكومة لأنها في الحق غير صالحة للبقاء ولا قادرة عليه، بعد تجربة التسعة أشهر العجاف الماضية».

ثانيًا: هاجم مندور حكومتى النقراشي إسماعيل صدقى لتعديهما على من يطالب من الشعب بحقوق الوطن فهاجم حكومة النقراشي هجومًا عنيفًا عقب حادثة كوبرى عباس الشعب بحقوق الوطن فهاجم حكومة النقراشي هجومًا عنيفًا عقب حادثة كوبرى عباس التي وقعت في ١٩٣٧م مظاهرة قادها طلبة جامعة فؤاد الأول، مطالبين الحكومة بإلغاء معاهدة ١٩٣٦م معاهدة ١٩٣٦م التعديد المسكها بمعاهدة ١٩٣٦م المسكها بمعاهدة ١٩٣١م المسكها مندور عدوان الحكومة على هؤلاء الطلبة بأنه «همجية» في مقال يحمل هذا العنوان نفسه (٢٢) ووصف للقراء ما شاهده من حوادث عنف بشعة، فقال: «في الساعة الحادية عشرة من صباح أمس دق التليفون يخبرنا أن البوليس المسرى قد أشبع الشباب المسرى غمريًا مبركا، ترك المنات منهم صرعى على الأرض التي خضبت بدمائهم، فنفر إحساسي، فيئل مرحا، ترك المنات منهم صرعى على الأرض التي خضبت بدمائهم، فنفر إحساسي، أستطيع أن أصف ما رايت بغير الهمجية المثيرة المردولة».. القد طفت ببندر الجيزة، ومنزل برادة بك، وقسم مصر القديمة، فرأيت ما يحزن ويخزى على السواء. في بندر الجيزة رأيت عربتين محملتين بآثار المحركة، وهي لسوء الحظ كتب وكراسات الطلبة التي مرقت، وسارع البوليس إلى جمعها بعد أن تم له النصر!

وفي صنالة السنجن رايت عشرات من الشيان، طلبة وغير طلبة، مبللين بدمائهم، منهم من يئن، ومنهم من يعجز عن الأنين، هذا وضبع يده على راسته الذي ينفجر منه الدماء، وذاك انحنى على ضلع من أضلعه التى أصبابها كدم أن كسر، وثالث تصطك أسنانه من الآلم، ورابع قد تقلص وجهه، فحرّك في النفس الآلم الثائرة.

وتسامات بعد كل هذا: أية حكومة تلك التي تلجأ إلى مثل هذه الهمجية في قمع شباب يسيرون في مظاهرة سلمية، ولا سلاح بأيديهم غير الكتب والكراسات، ولا غاية لهم غير إظهار شعورهم الوطني نحو قضية بلادهم المعلقة اليوم في يد الأقدار.

عجيب أمر هذه الحكومة، تتخبط في سياستها وتضعف في المطالبة بحقوق الوطن، ثم تنكل بأبناء الأمة الأنهم يرفضون هذه السياسة، ولا يقرون هذا الضعف، ويطالبون في حرارة وإيمان بأن يجلو المحتل عن بالادنا ويرد إلى وادى النيل حقوقه».

ونتيجة للهجوم على حكومة النقراشي أسقطت في ١٩٤٦/٢/١٥ ، وخلفتها حكومة

إسماعيل صدقى، لكن مندور هاجمها لأنها كانت حكومة قمع الحماس الشعبي – منذ اللحظة الأولى. والسبب المباشر وراء عداء مندور لهذه الحكومة أنها بدات عهدها بالاعتداء على الوطنيين المسالمين الذين يعبرون عن غضبهم في مظاهرات سلمية، فجرحت وطنيتهم عنى الوطنيين المسالمين الذين يعبرون عن غضبهم في مظاهرات سلمية، فجرحت عنوان «الجناة عندما اتهمت المتظاهرين من العمال والطلبة بأنهم «دهماء»، فكتب تحت عنوان «الجناة يحتجون»(٢٧). يقول: «الشيء المحزن هو أن تتخاذل الحكومة المصرية، بل وتأثم في حق الوطن، فتترك الصحف الإنجليزية تهاجمنا، وتفتري علينا، بينما تصادر صحفنا نحن لأنها تؤدى اقل ما يجب عليها نحو الوطن والمواطنين.. وياليتها إذ صادرت الصحف المصرية، وركت الصحف الاستعمارية قد استقلت بعب الدفاع عنا، كما دافعت السلطات البريطانية بالباطل عن جنودها الهمج المستهترين، بل يا ليتها استحت فلم تحمل هي أيضًا على الشعب المصرى الأبي، ولم تتهمه بأنه من الدهماء، وبأن أيد خفية تحركه، ولم تنذره بسوء العذاب إذا هو استمر على الغضب المالك والته التي طأل عليها الزمن، وحان الحين التحقيقها».

ووجه حديثه إلى إسماعيل صدقى: «أى أبد أيها الرجل تريد أن تدفع المصريين إلى المالية بحريتهم المسلوبة، واستقلالهم المستعبد؟ ثم إلى أى دهماء تشير أيها الوزير، وتدعى أنهم قد أندسوا في صفوف الطلبة؟ هل تظن أن الوطن لا تحرك بلواه غير الطلبة؟ هل تذكر على الدهماء حقها في أن تحب وطنها، وأن تجاهد في سبيله؟، (٢٤)

ثالثًا: الهجوم على حكومات الأقلية التي لا تنهض بقضايا الوطن:

عندما عاد النقراشي إلى السلطة، وواصل سياسة الصمت، عاد مندور ليكتب عن هده السياسة التى تهدر مصالح الوطن.. كتب تحت عنوان:«غموض وعجز»(٢٥) يقول: «إن البياسة التى تعجزه إلى حكومة شجاعة قوية واضحة السياسة، فتعلن في عزم وتصميم أن مصر قد قررت الوقوف موقف الحياد الدولي، ونلك لكى تتخلص من الاستعمار أولاً، ثم لكى تتجنب ويلات الحروب ثانيًا، وأخيرًا لكى تحقق مصالحها الطيقية بتبادل المنافع مع كافة الدول، وبذلك تخدم نفسها، كما تخدم السلام العالمي الذي لا يهدده اليوم شي، كما يهدده التكتل..

لقد وصلت الحكومة الحالية بغموض سياستها وعجزها إلى درجة تقهقرت معها قضية الوطنية واصطربت الأحوال الداخلية، وبدلاً من أن تعالج تلك الحكومة القضية الوطنية والمشاكل الداخلية العلاج الصحيح، أصبحت ولا همّ لها إلا أخذ البلاد بالحديد والنار، وسن التشريعات الرجعية، وهذه كلها أمارات إفلاس، في السياسة؛ لأن أيّ حاكم يستطيع أن يسلط ما بين بديه من قوة مادية على الشعب، ولكن كل حاكم لا يستطيع أن يكسب رضا الشعب والمئناته بالإصلاح المنتج والسياسة الإنشائية؛ لأن نلك يحتاج إلى كفاءة ممتازة، وجرأة في الرأى والمبادأة، فضلاً عن التمتع بثقة الشعب وتأييده».

#### الهوامش

- (١) استقال محمد مندور من الجامعة سنة ١٩٤٣، لكنه لم يتوقف عن العمل الأكاديمي في المهد العالى للصحافة التابع لكلية الآداب، جامعة القاهرة، ومعهد التمثيل، ومعهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية.
  - (٢) فؤاد دوارة، عشرة أدباء يتحدثون، دار الهلال، ١٩٦٥، ص١٧٢، ١٧٤.
    - (٣) السابق: ص١٧٨، ١٧٩.
- (٤) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن علاقته الشائكة بالجامعة التى انتهت بالاستقالة يمكن مراجعة ما جاء في كتاب فؤاد دوارة ص١٨٧ – ١٩٩١، ويمكن كذلك مراجعة مقال لكاتبة هذه السطور عنوانه «محمد مندور مناضل ولهني لا يذكره أحد» منشور في مجلة إبداع بتاريخ مايو، بونية ٢٠٠٢.
  - (٥) مقال: من أعماق السجن، جريدة الوفد المصري، ٢٦/٧/١٩٤٠.
  - (٦) د جابر عصفور، قراءات في النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٢٢٠.
    - (V) السابق، ص۲۲۱.
    - (٨) مجلة روزاليوسف، مقال: لماذا اشتغلتُ بالسياسة، ١٩٦٤/١٢/٤.
- (ه) هو القانوني والصحفي والسياسي والشاعر الدكتور عزيز فهمي ولد في ١٩٠٩/١٠/٩، وهو نجل القطب الوفدي الكبير عبدالسلام فهمي جمعة باشا حصل من جامعة قؤاد الأول على ليسانس الحقوق والقطب الوفدي الكبير عبدالسلام فهمي جمعة باشا حصل من جامعة قؤاد الأول على ليسانس الحقوق والأداب «في اللغة الحربية سنة ١٩٤٧ من باريس. وعاد إلى نصير سنة ١٩٤٢ ليممل وكيلاً للنيابة بالمخاكم المختاطة، ثم استقال من العمل الحكومي سنة ١٩٤٤ وتقرغ المسياسية، وشارك وتقرغ للسياسة والصحافة والمحاماة، الري عزيز فهمي صحف الوفد الكبري بمقالاته السياسية، وشارك محمد مندور الكتابة في الوفد المصرى وصوب الأحة، كان عضواً بارزًا في الطليعة الوفنية وبخل البرلمان سنة ١٩٥٠ عن دائرة الجمالية وكانت مواقفه فيه وطنية مصرية قبل أن تكون وفنية. استشهد عزيز فهمي خوادث سيارة غامض في ١٩٥٢/٥/١/ وهو في طريقه المرافعة في إحدى القضايا.
  - (۱۰) عشرة أنباء يتحدثون، ص١٩٥ -١٩٦.
    - (۱۱) السابق، ص١٩٤.
    - (۱۲) السابق، ص۱۹۰.
    - (۱۳) عشرة أبياء بتحدثون، ص١٩٦.
  - (١٤) جريدة صن الأمة، الضرائب التصاعدية في مجلس الشيوخ، ١٩٤٨/٦/٠٠.
    - (۱۰) قراءات في النقد الأدبي، ص٢٢٢، ٢٢٣.
      - (١٦) عشرة أبباء يتحدثون، ص١٩٧.
        - (۱۷) السابق، م۱۹۹۰ ۲۰۰.
          - (۱۸) السابق، ص۱۹۸.
    - (۱۹) روزالیرسف، لماذا اشتغلت بالسیاسة، ۱۹۸٤/۱۲/۱٤.
      - (۲۰) جريدة الوند المصرى، ١٩٤٥/١١/١٥.
  - (٢١) تولى النقراشي رئاسة الوزارة عقب اعتيال الدكتور احمد ماهر في ١٩٤٥/٢/٥٤.
    - (۲۲) جريدة الوفد المسرى، ۱۹٤٦/۲/۱۰. (۲۲) جريدة الوفد المسرى، ۲۳/۲/۲۹۲.
- (٢٤) جريدة الوفد المصرى، مقال: الإنجليز يقتلون المصريين، ورئيس الوزراء يجرح وطنيتهم، وينذرهم بالويل والثبور، ٢٢/٧/٢٢،
  - (٢٥) جريدة صوت الأمة، ٢٤/٨٤/٢٤

# وثائق مجهولة: الأفغاني وتلاميذه

## توفيق حنا

صدر هذا التحقيق المهم عن «المركز العربي للإعلام والنشر» عن «الأفغاني وتلاميذه»، قدمه الدكتور على شلش، هذا الباحث الجاد الذي فقدناه منذ سنوات، وهذا التحقيق وثيقة مهمة تتناول بالدراسة عصر إسماعيل وعصر توفيق، كما تحدثنا عن عصر السلطان عبد الحميد وكان الدكتور على شلش قد سبق أن قدم عن «المركز العربي للإعلام والنشر» وثيقة خطيرة تصبور انهيار الخلافة العثمانية وسقوطها.. وقال على شلش إن هذا الكتاب «ما هنالك» الذي الفنه إبراهيم الموليحي كان في الأصل مجموعة مقالات نشرها مؤلفها في جريدة «المقطم» ويقول على شلش «كان ودي أن يوضع له عنوان أخر يشير إلى موضوعه، فتم اختيار محققه احمد حسين الطحاوي لهذا العنوان، ولكن العنوان الذي شغلني هو «سقوط الخلافة».

في تاريخنا.. سواء كان تاريخنا السياسي أو الاجتماعي أو الأدبي ..

وكان هدف عن بحثه الدائب عن المجهول أو النسى أو المهمل من هذا التاريخ أن 
يدفع الباحثين والدارسين والمؤرخين إلى العمل لكشف وإبراز ما أهمله.. أو تناساه ..
هذا التاريخ.. التاريخ الحديث أو الوسيط أو القديم..

يحدثنا على شلش عن الأسباب والدوافع وراء اختيار هذه الوثيقة المجهولة لتحقيقها ونشرها.

«فى سنة ١٩٦٣ نشرت جامعة طهران مجلدا يضم وثائق غير منشورة تتعلق بالسيد جمال الدين المعروف بالأفغاني، وضمت هذه الوثائق مجموعة من الأوراق الخاصة المكتوبة بالعربية، جنبا إلى جنب مع مجموعة أخرى من الأوراق المكتوبة بالفارسية والفرنسية.

ونظرا للأهمية الكبيرة التى تكمن فى الأوراق العربية فقد حرصت على تصويرها كاملة ونسخها وتزويدها بالشروح والهوامش والتعليقات اللازمة حتى يمكن الاستفادة منها وفهما، ويحدد على شلش هدفه وغابته:

«راجيا من هذا كله أن أضع أمام الباحثين منجموعة من الوثائق التي لا تخص الأفغاني وحده أو تلاميذه وحدهم، بمقدار ما تخص عصر إسماعيل وتوفيق في تاريخ مصر الحديث».

تبدأ هذه الوثائق بالحديث عن الماسونية وعلاقة الأفغاني بها.. كيف دخل محافلها، وارتقى درجاتها.. وكيف انتهت علاقته بها بأن ترك الماسونية وهاجمها.

يقول على شلش:

«لقد كشفت أوراق الأفغاني الخاصة التي نشرتها جامعة طهران سنة ١٩٦٣ عن بعض المعلومات المهمة في هذا الموضوع ومنها ورقة سجل فيها الأفغاني مسودة طلب التحاق بإحدى المحافل، وعليها تاريخ يوم الخميس ٢٢ ربيع الثاني ١٣٩٧هـ (الموافق ٢٦ مارس ١٨٥٥) وفيها كتب الأفغاني بخطة الفارسي الجميل:

«يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلي، الذي مضى من عمره سبعة وثلاثون سنة، بأني ارجو من إخوان الصفاء واستدعى من فلان الوفاء، أعنى أسباب المجمع المقدس الماسون، الذي هو عن الخلل والزلل مصون، أن

يمنوا علي، ويتفضلوا بقبولى فى نلك المجمع المطهر، وبإنخالى فى سلك التخطين فى نلك المنتدى المفتخر.

ولكم الفضىل

جمال الدين الكابلي

يقول على شلش «إن الماسونية دخلت مصر على أيدى الأوربيين النازدين، وبدأت في استقطاب الأهالي وتشجيعهم على اعتناقها خلال عصر إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٨)، وبصفة خاصة، أو ابتداء من ١٨٦٨ على الأقل دين أصبح الأمير حليم، المطالب بالعرش، أستاذاً أكبر لمحفل الشرق الأعظم المصرى».

#### ...

وتحدثنا هذه الوثائق عن اعتقال جمال الدين الأفغاني وعن سبب هذا الاعتقال.. فقد اعتقل جمال الدين الأفغاني بعد اتصاله بالقنصل القرنسي وكيف أسيء فهم وتقسير هذا اللقاء.. الذي تم قبل أيام من خلع إسماعيل.. ويعلق على شلش على هذا الحادث.

«من الواضع أن ماحدث كان جرأة كبيرة من الأفغاني بمقاييس زمامنا هذا، فما فعله ينطبق عليه تعبير التضابر والاتصال بدولة أجنبية.. ومن الواضح أنه تطوع بذلك العمل جنبا وتقريا للضديو الجديد (توفيق) صديقه وعضو محفله، وتعبيرا عن الرغبة العامة في التخلص من أبيه ... \* ثم يقول شلش:

«وبعد طرد الأفغاني من مضر (اغسطس ١٨٧٩، تشتت أخوانه الماسونيون، ولم يبق سوى إخوان حليم باشا الذين كان من المحتم عليهم أن يبادروا بالمصالحة مع النظام الجديد، وإلا تعرضوا لما تعرض له خصمهم (إسماعيل).

ثم يستعرض لنا على شلش هذه الرسائل التي تبويلت الأفغاني وتلاميذه ويبدأها بهاتين الرسالتين من محمد عبده ويعلق على شلش على أسلوب هاتين الرسالتين:

«نلمس في هاتين الرسالتين كيف يسمو حب التلميذ لأستاذه إلى مرتبة العبادة ويقدم لنا هاتين الرسالتين بهذه الكلمات (كتب محمد عبده هاتين الرسالتين عام ١٨٨٣ من بيروت):

«كان محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) أخلص تلميذ لأستاذه الأفغاني (١٨٣٧ -١٨٩٧)، وكان أطول أقرانه ملازمة ومعاشرة للأستاذ ومحمد عبده هو أول من وضع سيرة لأستاذه بناها على كمال الخبرة وطول العشرة، كما قال وهو أيضاً أبرز تلاميذ الأفغاني وأهمهم في مجال الإصلاح والاستنارة».

وبعد تقديمه للرسالتين وتعليقه عليهما يقول على شلش:

«بقيت بعد ذلك رسالة ثالثة لم ترد بأصلها العربي في المجلد الذي ضم وثائق الأضغاني وأوراقه، وإنما وردت منقولة إلى الفارسية عن الأصل العربي المحفوظ بمكتبه البرلمان الإيراني، وتاريخ هذه الرسالة هو ٢٤ ديسمبر ١٨٨٤، وقد كتبها محمد عبده من تونس حول تأسيس جمعية «العروة الوثقى»، وكان محمد عبده قد. نفي من مصر في أواخر ١٨٨٢ بعد هزيمة الثورة العرابية ونلمس في رسالة محمد عبده الأولى (١٨٨٣) مدى احترام وإعزاز وتقدير التلميذ لاستاذه:

«مولاي الأعظم حفظه الله وأيد مقاصده».

ليتنى كنت أعلم ماذا أكتب إليك، وأنت تعلم ما في نفسى كما تعلم ما في نفسك. صنعتنا بيديك، وافضت على موادنا صورها الكمالية، وأنشأتنا في أحسن تقويم فيك عرفنا أنفسنا. ويك عرفناك، ويك عرفنا العالم أجمعين».

ثم يحدثنا على شلش عن رسائل المريد الثاني لجمال الدين الأفغاني وهو إبراهيم اللقاني.

في هذه الرسائل يسجل اللقاني ما حدث لتلاميذ الأفغاني بعد طرده من مصر. ويقول على شلش عن إبراهيم اللقاني:

«كان اللقاني يتلقى العلم فني الأزهر عندما جاء الأفغاني إلى القاهرة، ثم أصبح صحفيا وشاعرا ومحاميا..

تولى تحرير صحيفة «مرآة الشرق» الأسبرعية، ثم عمل مع محمد عبده في جريدة «الوقائع المصرية»، بعد إيقاف صحيفته على أثر طرد الأفغاني، وشارك في الثورة العرابية وسنجن ونفى مع زميله محمد عبده على أثر فشل الثورة.. وهذه الرسائل أرسلها اللقائي من منفاه في بيروت.

A£

فى الرسالة الأولي.. يقول على شلش يصور اللقانى ما حدث له ولجماعته، محمد عبده وسعد زغلول وغيرهما، من مطاردة ومراقبة واضطهاد على أيدى شرطة الخديو. بعد رحيل أستاذه.

وفى الرسالة الأخيرة - يقول على شلش - يدافع اللقائى عن زميله محمد عبده، ويوضع لأستاذه موقفا بلغه عنه، وتسبب فى سوء فهمه، ويكشف عن موقف جريدة والأهرام» من الأفغاني.

ثم يحدثنا على شلش عن إبراهيم المويلحى مؤلف كبتاب «ما هنالك» (باكورة إصدارات» المركز العربى للإعلام والنشر) وكان على شلش يقترح له عنوان «سقوط الخلافة» ولكن المحقق أحمد حسين الطحاوى اختار هذا العنوان!):

«لما عزل إسماعيل عام ١٨٧٩ وسافر إلى أوريا، لحق به إبراهيم المويلحى وعمل سكرتيرا له، ثم أصدر له إسماعيل صحيفة في باريس باسم «الاتحاد» للهجوم على غريمه وغازله السلطان عبد الحميد، واكن ما لبث أن نشب خلاف بين الخديو المعزول والسكرتير الطموح» فافترق الأخير عنه، وارتبط بجمال الدين الأفغاني حتى عام ١٨٨٥ وعند ذلك أصلح علاقته بالسلطان وترك أوربا إلى عاصمة الخلافة حيث أقام نحو عشر سنين معززا مكرما من السلطان... وبعدها عاد المويلحي إلى القاهرة وأصدر كتابا بعنوان «ما هنالك»، فضح فيه ما يجرى في عاصمة الخلافة وعده السلطان معاديا له، ثم أصدر صحيفة «مصباح الشرق» في القاهرة، وظل يوافيها بطاقته المتدفقة حتى وفاته عام ١٩٠٦ عن ١٢ عاما».

ومحمد المويلحى صاحب «حديث عيسى بن هشام» - يقول على شلش - هو ابن إبراهيم المويلحى وعاش مع أبيه فى أوربا ثم عاد إلى مصر، حيث ألف هذا العمل الذى خلده.

وبعد ذلك ينتقل إلى تلميذ آخر من تلامذة الأفغاني وهو إسماعيل جودت.

وعن هذا التلميذ يقول على شلش «ذكر بلندن إن جودت كان يشغل منصب رئيس شرطة الأجانب اثناء الثورة العرابية، الأمر الذي لم تذكره المصادر العربية عن الثورة ثم يقول «درس إسماعيل جودت في باريس في عهد محمد سعيد، ثم عينه إسماعيل مديرا للأوبرا بعد افتتاحها سنة ١٨٦٩، وقد ألف بعض المسرحيات وعرف الأفغانى عند مجيئه إلى مصر، وشارك فى الثورة العرابية ونفى بسببها، واشترك فى وفد اتفاقية لندن المتعلقة بمصر سنة ١٨٨٥، وعمل بالمحاماة بعد عودته من المنفى حتى وفاته سنة ١٨٩٧.

أرسل إسماعيل جودت رسالته من الأستانة يوم الاثنين ٢٧ إبريل ١٨٨٠ وهي رد على رسالة من الأفغاني ويورد على شلش رسالة من تلميذ آخر للأفغاني وهو أديب أسحق (١٨٥٦ - ١٨٨٤) إلى أستاذه الأفغاني.

وتنتهى هذه الوثيقة المهمة والتى تعتبر إضافة غنية بأخبارها وأبطالها إلى المكتبة التاريخية..

تنتهى برسالتين من «أبو الهدى الصيادى» وهو الذى ألف عبد الله نديم كتابه «المسامير» ضده وضد أساليبه الملتوية التى هى عكس اسمه «أبو الهدى»..

ويقول عنه على شلش إنه دكان كبير البصاصين (الجواسيس) للسلطان عبد الحميد، وقد لعب دورا مدمرا في تقويض بناء هذه الامبراطورية ألتي كانت إيلة للسقوط».

«كتب الصيادى رسالتين للأفغانى بأسلوب يجمع بين الرعد والوعيد.. يقول على شلش.. أو الترغيب والترهيب . ومن المؤكد أنهما استفزتا فى الأفغانى نخوته الدينية وحرصه على طيب علاقته بالسلطان، ومن المؤكد أيضا أنهما ساهمتا بنصيب كبير فى إقناعه بالحضور إلى صاحب دعوته.

«وهكذا شد الأفغاني رحاله إلى الأستانة - يقول على شلش أخيرا - في أواثل يوليو ١٨٩٢ م وكانت رحلته هذه هي الأخيرة . قبل رحلته الأبدية».

...

منذ سنوات قابلت الصديق على شلش في لندن، وكنت أحرص على لقائه سواء كان في القاهرة أو في لندن وهو الذي أهدائي كتابي «ماهنالك» و«الأفخائي وتلاميذه» وقال لي في ذلك اللقاء الأخير إنه مشغول بجمع صفحات مجهولة تتعلق بالدكتور أحمد ضيف هذا العالم المصرى الذي كان أول من نبه إلى أهمية دراسة الفولكلور المصرى.



ولا أدرى ماذا تم فى هذا العمل الجدير بالمتابعة والاهتمام.. ترى هل تمكن الصديق على شلش أن ينتهى من جمع هذه الوثائق المتعلقة بالدكتور احمد ضيف وهل تمكن من نشرها قبل رحيله عن دنيانا.. ولعل هناك دراسات أخرى مخطوطة لهذا الباحث الجاد.. تنتظر أن ترى النور.. ترى ما الجهة المسئولة عن البحث عن الأعمال غير المنشورة للعلماء والباحثين الراحلين؟

## دراسة

## أغنية الغضب وأغنية الرضا

## السيد زهرة

رحل سيد درويش فى عام ١٩٢٢ بعد الثورة العاصفة التى أحدثها فى عالم الأغنية الوطنية. فى ذلك الوقت بعد رحيله، كانت ساحة الموسيقى والغناء تشهد بروغ نجمين جديدين يشقان بسرعة البرق طريقهما نحو القمة.. أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب.

كانت أم كلثوم القادمة من قلب الريف المصري، قد قامت بعملية غزو" فنى القاهرة بصوت معجز لا مثيل له، وباختيارات جديدة متقنة من الكلمات والألحان، ومسلحة بخبرة ثرية طويلة فى غناء التواشيح والأناشيد الدينية، ويذكاء اجتماعى منقطع النظير، وباصرار وداب على ان تعوض ما فاتها من ثقافة وعلم. وهكذا، فى غضون سنوات قلائل، كانت أم كلثوم قد أزاحت سلطانة الطرب و ملكة الغناء منيرة المهدية عن عرشها، وتجاوزت مطربة القطرين فتحية احمد، وانفردت بالقمة.

فى نفس الوقت، كان محمد عبدالوهاب قد اكتسب خبرة كبيرة من التنقل بين المسارح والغناء فى المسرحيات، وبذل جهدا كى يتعلم أصول الموسيقى والغناء. وكان حظه قد أتاح له أن يتعلم الكثير من سيد درويش مباشرة. واستطاع بصوت ساهر مذهل، وتجديدات، وتطويرات، و"اقتباسات" موسيقية وغنائية، و برعاية ودعم لا يكل

من أمير الشعراء احمد شوقي، وأيضا بذكاء اجتماعي كبير، ان يصعد إلى قمة الغناء، وعجز كبار مطربي ذلك الزمن عن اللحاق به.

وهكذا، لم يكد عقد العشرينيات ينقضى ويطل عقد الثلاثينيات، الا وكانت أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب قد تربعا على عرش الغناء والموسيقى، وظلا على هذا العرش طوال العقود التالية.

مالذى حل بالأغنية الوطنية فى ذلك الزمن، وتحديدا منذ رحيل سيد درويش وحتى قيام ثورة يوليو؟.

الذى حدث أنه طوال تلك الفترة، أى لما يقرب من ثلاثة عقود، أرتد حال الأغنية الوطنية إلى نحو نصف قرن إلى الوراء.. أرتد الحال إلى نفس زمن عبده الحامولي وحمد عثمان عندما كان الشعب وثورته العرابية في واد، والمطربين الكبيرين المهيميذين على ساحة الفناء في واد آخر.

كانت سلطة الاحتلال البريطانى قد اكتشفت بالطبع الدور المذهل الذى لعبته الأغنية الوطنية على يد سيد درويش فى ثورة الشعب على الاحتلال. فى ذلك الوقت كانت قد نشأت الإذاعة التى تديرها شركة ماركوني. كانت تديرها بتعليمات وتوصيات مباشرة من اجهزة الاعلام والسياسة فى بزيطانيا.

فى كتابه الإذاعة فى بناء الانسان، يرصد الإذاعى الكبير ايهاب الأزهرى هذه الملاحظة البالغة المعنى والدلالة. يقول ان الانتاج الغنائى فى راديو ماركونى كان مشروطا باصطحاب التخت، وأن يتغلب فيه اسلوب المط والتطويل والتكرار ليكون الأجر على مقدار ما تستغرقه الأغنية من وقت، وبأن تعلو قيمة المغنى على كل من مؤلفى النظم واللحن، وبأن توضع طائفة من المحظورات فى قانون المطبوعات لتضييق الخناق على المؤلفين.

کانت سلطات الاحتالال البریطانی ترید ان تحول، بای شکل و بای ثمن دون أن یظهر إلى الوجود سید درویش اخر أو بدیع خیری آخر.

كانت تريد الا تعود إلى عالم الغناء تلك الأغانى النارية الخالية من الآهات والمط والتطويل والتي كان الشيخ سيد يطلقها كما طلقات الرصاص. كانت سلطات الاحتلال تريد ان تعود بالفناء والموسيقى إلى عهد ما قبل سيد درويش. وهذا بالضبط هو ما حدث.

ومع هذا، لم يكن هذا هو السبب الوحيد ولا الأساسى للردة التى شهدتها الأغنية الوطنية. السبب الجوهرى ان أم كلثوم وعبدالوهاب، قائدا قافلة الغناء والموسيقى، كانت أنظارهما منذ البداية معلقة بالقصر، والغناء له.

كان عبدالوهاب قد ظل لفترة طويلة سعيدا بلقب" مطرب الملوك والأمراء" ويصعر على ان يفاخر به في الدعاية لاسطواناته. وكان احمد شوقى قد جعل من عبدالوهاب المطرب الرسمى المعتمد" لإحياء ليإلى وسهرات الباشوات والأعيان وعلية القوم.

وعندما تولى الملك فاروق السلطة في يوليو عام ١٩٣٧، ذهبت أم كلثوم في مساء نفس اليوم إلى قصيدة احمد شوقي نفس اليوم إلى قصيدة احمد شوقي عيد الدهر". ومنذ ذلك اليوم سوف تصبح هي المطرية الأولى وشبه الرسمية للسراي. وسوف يحاول عبدالوهاب أن يدخل في منافسة معها على الغناء للملك.

حدثت الردة، وعاد قطبا الغناء بالأغنية الوطنية إلى عصد الحامولي. ووصل التشابه بين العهدين حدا مذهلا.

ولكن كيف؟.

...

#### محلاها عيشة القلاح

ثلاث نكسات كبرى حلت بالأغنية الوطنية فى الفترة الممتدة منذ رحيل سيد درويش وحتى قيام ثورة يوليو، أى نحو ثلاثين عاما، وهى الفترة التى تربعت فيها أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب على عرش الغناء والموسيقى.

النكسة الاولى تمثلت فى الغياب شبه الكامل تقريبا للأغنية الوطنية ذات المضمون الاجتماعي، أى التى تعبر عن هموم وأحزان الغثات والطوائف الفقيرة المطحونة فى المجتمع والمظالم التى تعانى منها. رأينا كيف أن سيد درويش ترك تراثا كبيرا من هذه الأغاني، وكيف أنه لم يترك طائفة من طوائف المجتمع الا وغنى لها وعبر عن

ألامها.

طوال ذلك العهد، وفى ظل قيادة أم كلثرم وعبدالوهاب لقافلة الغناء والموسيقى، لا نكاد نعثر على أغنية واحدة من هذا القبيل. ليس هذا فحسب، بل اننا نجد العكس. نجد أغانى كثيرة تحاول أن تجمل وتزيف الواقع المر للطيقات الفقيرة فى المجتمع، وبشكل مضحك فى بعض الأحيان. ويكفى فقط أن نضرب هذا المثال.

كان الفلاحون المصريون يعيشون أوضاعا مأساوية مزرية، ويعانون من أشد انواع الظلم في ظل الاقطاع، ويعاملون في احيان كثيرة معاملة اشبه ما تكون بمعاملة العبيد. في ظل هذه الأوضاع، سنجد محمد عبدالوهاب، وبمنتهى الثقة ، يغني في احد أفلامه أغنيته الشهيرة:

محلاها عيشة الفلاح... مطمن قلبه مرتاح... يتمرغ على أرض براح

كان عبدالوهاب يغنى لفلاحين لا وجود لهم الا فى الخيال.. خيال اغنيته . ولكى تكتمل هذه الصورة الخيالية، كان محمد كريم، مخرج افلام عبدالوهاب، يصر على أن يفعل شيئا عجيبا لا مثيل له ربما فى تاريخ السينما فى العالم كله. كان يصر على أن اى جاموسة او بقرة تظهر فى الفيلم يجب أن تخضع مسبقا لعملية "استحمام" مكثفة بالماء والصابون كى تظهر فى الفيلم فى ابهى حلة وصورة. وكان يفعل نفس الشئ مع الأشجار بغسيلها لكى تظهر لامعة براقة .. هذا كى لا تتشوه صورة عورة هما الأرض البراح" التي " يتمرغ فيها الفلاح.

" محلاها عيشة الفلاح"، كانت تجسيدا دراميا، ومضحكا، عن الحال الذي وصلت الله الأغنية من انفصال عن الشعب وهمومه.

اما النكسة الثانية التى حلت بالأغنية الوطنية، فكانت على مستوى اللحن والأداء. غابت تلك الألحان الوطنية الهادرة التى كان يغنيها سيد درويش، ويغنيها معه

الشعب. تلك الألحان التي كانت تتدفق حماسة وتؤجج المشاعر.

عادت الأغاني، بما في ذلك التي من المفروض انها أغاني وطنية، إلى عصر التطريب والمط والتطويل. يكفي أن نضرب فقط هذا المثال.

في ذلك الزمن، وتحديدا في عام ١٩٤٣، غنى عبدالوهاب أغنية وطنية اسمها" مين

ربك عندى ياخضرة". فكرة الأغنية وكلماتها رقيقة وجميلة، فهى تتحدث عن جندى ذاهب إلى ميدان المعركة ويريد ان يستمد العون من حبيبته خضرة" اى من الوطن. من كلماتها مثلا" جودى على بنظرة وانا رايح للميدان".. ومن كلماتها ايضا" كيف يغزى أرض حبيبتى رجاله وإحنا رجال". لكن عبدالوهاب غنى الأغنية هكذا:

ميين زااايك عااااندي يا خاااضرة" .. إلى ان يردد مثلا" وانا راااايح احااااارب".

كان اللحن جميلا كلحن تطرب له وتستمتم به وانت في حالة استرخاء. لكنه على وجه اليقين لم يكن لحنا يليق بان يريده جندى يرتدى زيا عسكريا وفي طريقه للمعركة. كان بالأحرى لحنا يليق بواحد يرتدى بيجامة ويريد من حبيبته ان تسنده إلى ان يصل بسلام إلى السرير كي يخلد في نوم عميق.

عبدالوهاب غنى" من زيك عندى ياخضرة" على طريقة" ماركوني".. كأنه لم يتتلمذ على يد سيد درويش او يتعلم منه شيئا. كانت هذه هى الروح العامة التى انتهت اليها الحان أغلب الأغانى الوطنية.

اما النكسة الثالثة التى منيت بها الأغنية الوطنية، والتى هى اكبر النكسات والتجسيد الأساسى لمرحلة الردة تلك، فهى انها انفصلت انفصالا يكاد يكون كاملا عن كفاح الشعب وحركته الوطنية المتاججة.

...

## يعيش فاروق ويتهنى

طوال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، لم تتوقف الحركة الوطنية المصرية المطالبة بالاستقلال والتحرر والرافضة للظلم الاجتماعي والفساد السياسي. وشهد عقد الأربعينيات بالذات احداثا وتطورات جساء.

انداعت حركة الطلبة والعمال في انتفاضة شعبية عارمة، وخرجت المظاهرات الحاشدة منذ اواخر عام ٤٥ وطوال عام ٢٦ تطالب بالجلاء والحرية.

نشبت بعد ذلك حرب فلسطين، وذهب الجنود إلى الحرب، وكان الشهداء يسقطون والشعب يتابع تطورات المعارك وأخبار فضيحة الأسلحة الفاسدة. وتصاعد الحديث في المجتمع عن فساد الملكية وحكوماتها المتعاقبة. ونشأت في غمار ذلك حركة الضباط الأحرار.

وعندما حل عام ١٩٥١، كانت المقاومة الشعبية المسلحة قد اشتعلت في مدن القناة ضد قوات الاحتلال.

أين كان قطبا الغناء والموسيقي في ذلك الوقت، أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب، من هذه الأحداث والتطورات العاصفة؟.

كان قد أصبح تقليدا أن أم كلثوم هى التى تحيى كل مناسبات القصر.. عيد الميلاد، وعيد الجلوس، والأفراح. وفي كل مناسبة كانت تحرص على أن تطل بأغنية جديدة. وهكذا تدفقت أغانيها للملك.. عيد الدهر.. يا مليك النيل.. يا ربوع النيل.. يا بهجة الروح.. لاح نور الفجر.. يا مليكي.. أوإن الورد.. مولد الفاروق.. وهكذا

وفي ٢٨ يونيو ١٩٤٥، كانت أم كلثوم تغنى في حديقة النادى الأهلي، وكمان الملك فاروق حاضرا. غنت له " يا ليلة العيد"، ورددت:

يعيش فاروق ويتهنى ... ونحييله ليإلى العيد

في نهاية الحفل أنعم فاروق على أم كلثوم ب' نيشان الكمال لتصبح منذ ذلك الوقت صاحبة العصمة مثلها مثل كثير من الأميرات.

حين كان الشارع يموج بمظاهرات الغضب وتعلق الصناجر مطالبة برحيل الاحتلال والتحرر، كان اقصى ما بمقدور أم كلثوم أن تفعله هو التالي:

حين كانت تغنى رائعة احمد شوقى والسنباطى الكبرى" سلوا قلبي"، وتأتى عند البيت: وما نيل المطالب بالتمني... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا".. كانت القاعة تضبج. بالتصفيق.. وكانت أم كلثوم تعيد البيت وتجيد.

نفس ماكان الصامولي يفعله حين كانت الثورة العرابية في ذروتها، وأقصى ما يستطيع ان يفعله هو أن يعيد ويجيد عندما يأتي الى "فين العدل يا منصفين".

محمد عبدالوهاب من جانبه، كان قد تغنى الملك ببضعة أغنيات من أشهرها، أنشودة الملك، وأنشودة التاجين. وحين حصلت أم كلثوم على نيشان الكمال، أرسل الوسطاء إلى القصر كي ينعم عليه بلقب باشا" أو حتى" بيك". لكن القصر رفض،

وتوقف عبدالوهاب عن الغناء للملك تعبيرا عن الاستياء والغضب.

انن كان الشعب وكفاحه وحركته الوطنية في واد، وقائدا قافلة الغناء في واد آخر. بعض الذين يدافعون عن غناء أم كلثوم وعبدالوهاب للملك فاروق في ذلك الزمن يقولون أن فاروق كان لفترات ملكا محبوبا من الشعب، ولهذا لم يكن غريبا ولا مستهجنا أن يغنيا له. وهذا صحيح جزئيا فقط ذلك أن الفترات التي كان فيها فاروق يحظى بشعبية، كانت فترات قصيرة، وعلى وجه اليقين لا يصح هذا في الفترة العاصفة في النصف الثاني من الأربعينيات وحتى اندلاع ثورة يوليو.

ومن الواضع ان هذا الغياب عن ساحة العمل الوطنى كان مثار استياء واستهجان الكثيرين في ذلك الوقت. الناس في تلك الحقبة، كانوا بريدون من مطربيهما الكبيرين ان يتفاعلا مع الأحداث الوطنية الكبرى.

لهذا نجد عبدالوهاب يكتب مقالا فريدا في ذلك الوقت، يناقش فيه هذه القضية تحديدا. وهو مقال يستحق التأمل ويلخص القضية برمتها.

...

## والنبى لحن لبلادك!!

بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٤٨، كتب محمد عبدالوهاب مقالا فريدا نشرته مجلة المصور. 
بدأ المقال على النحو التالي: يطلب منى بعضهم هذه الأيام طلبات غريبة وعجيبة. 
طلبات يظنونها سهلة التحقيق وإنها في متناول الفنان الذي يحسبون مزاجه طوع 
ارادتهم وارادته... يطلبون منى أن أنظم لهم الحانا حماسية تشعل النار في النفوس، 
وتدك الجبال دكا، ولا تقوى الطائرات ولا المدافع ولا القنابل الذرية على مقاومة القوة 
التي تبعثها".

ويمضى عبدالوهاب فى السخرية من هذه " الطلبات الغريبة العجيبة"، فيقول: " ... يطلبون منى أن أخرج لهم أناشيد يكفى أن يرددوها وهم سائرون فى الطرقات حتى تنفتح أمامهم الأمصار دون كبير عناء وحتى تنهار الحصون دون مدافع وقنابل".

ويفند عبدالوهاب، من وجهة نظره آراء هؤلاء ويسوق اكثر من حجة. يقول مثلا:"... هل وأنا أقول للهؤلاء وأولئك لماذا تطلبون منى أنا بالذات هذا اللون من الألصان؟.. هل تريدون أن أكون معمل ألصان على جميع المقاسات والأصناف؟.. هل قرأتم أن أحدا من الناس طلب ذات مرة إلى شوبان أو بيتهوفن أو سواهما من أعلام اللحن أن يلحن قطعة يكفى أن يرددها لكى يفتحوا روسيا مثلا؟!.. هل قالوا لبيتهوفن: والنبى لحن لبلاك قطعة تبعث الحماس فى النفوس فتنفعها لغزو جارتها؟!".

بالطبع لم يكن الذين يطالبون عبدالوهاب بمثل هذه الأغانى الوطنية يدور فى الاهانهم أن الحانه سوف تسقط الحصون وتغزو البلدان على نحو ماكتب ساخرا. كل ما كانوا يطالبون به مطربهم الأول هو الحان تواكب الكفاح الوطنى وتتفاعل مع الإحداث الجسيمة التى يشهدها الوطن. سيد درويش مثلا عندما غنى، وغنى معه الشعب المثات من الحانه الوطنية، لم يكن فى ذهنه ولا فى ذهن أحد أن هذه الألحان سوف تغزو البلدان أو تسقط الحصون. كانت هذه الألحان ببساطة جزءا من معركة الشعب فى كفاحه من أجل التحرر والاستقلال ورفع الظلم.

على أية حال، يحرص عبدالوهاب في مقاله على أن يغلق باب النقاش في القضية برمتها، ويقدم حجة هي من وجهة نظره حجة دامغة لا تقبل الرد تبرر رفضه هذا اللون من الألحان. يقول: ومع ذلك، فلست من أرياب هذا اللون من الألحان: لقد عشت في جو رقيق اتسم بالدعة والهدوء. وعاشت الحاني معي في هذا الجو الرقيق بين الجمال والحب. ولا أود الخروج من جوى هذا لأساهم في فقح عكا بلحن جبار بتار كله نار".

عموما، هكذا وضع عبدالوهاب القضية بوضوح وصراحة. ويحسب له في الحقيقة انه كان صادقا مع نفسه ومع محبى فنه اشد ما يكون الصدق. كان واضحا في تبيان أن رفضه لغناء مثل هذه الألحان في تلك الفترة الفاصلة في تاريخ الوطن وحركته الوطنية كان عن وعي تام وعن اختيار. لم يكن ببساطة يعتبر انه من أرياب هذه الألحان، ولم يكن يريد أن يخرج من حالة البعة والهدر، التي يعيشها.

لكن الشعب كان يظي بالغضب، والنقمة على القصر وعلى الاحتلال الغاشم. وقد

شاءت الظروف أن يكون العام السابق لثورة يوليو، أى عام ١٩٥١، تجسيدا لذروة الفصال قطبا الغناء والموسيقى عن الشعب ومعركته الوطنية. كانت المقاومة الشعبية المسلحة الباسلة قد اندلعت في مدن القناة.. كان الشهداء يسقطون، والاحتلال يرتكب للذابح والمجازر، ولا حديث للناس الا فساد القصر والأحزاب والساسة.

فى نفس ذلك العام، كانت أم كاثوم تحييى ثلاث حفلات للملك، وتغنى له نشيد" حفظ الله الملك". وكان عبدالهاب مازال يرفض الخروج من الجو الرقيق الذى يعيش فيه، وكان مازال يستخف بهؤلاء وأولئك الذين يناشدونه ... والنبى لحن لبلادك حسب تعبيره.

وقد كان لأم كلثوم وعبدالوهاب أغانى وطنية رائعة فى تلك الفترة. ومع هذا، فإن الفارق كان كبيرا بينها وبين أغانى سيد درويش الوطنية

•••

## أغانى وطنية رائعة.. ولكن

الحديث عن النكسة التى منيت بها الأغنية الوطنية بعد رحيل سيد درويش وحتى قيام ثورة يوليو، لا يعنى تقليلا من شأن أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب. أم كلثوم هى تاج الموسيقى والغناء العربى وبرته الخالدة فى كل تاريخه وإلى مستقبل يعلمه الله. وعبدالوهاب هو هذا الموسيقار العبقرى الفذ الذى يدين له الغناء العربى والموسيقى العربية بالفضل الأكبر فيما شهده من تطور ونهضة على امتداد مايزيد عن سبعين عاما.

كل ما في الأمر اننا عندما نتحدث عن هذه القضية المحددة، قضية تطور الأغنية الوطنية وما انتهت اليه من آزمة اليوم، فإن حقائق يجب أن تذكر. وهي على أية حال حقائق أصبحت جزءا من التاريخ بالفعل.

وكما اشرت سابقًا، كان لأم كلثوم وعبدالوهاب اغاني وطنية رائعة في تلك الفترة.

بالنسبة لأم كلثوم، غنت فى فيلم نشيد الأمل عام ٣٦، أغنية ياشباب النيل التى قال فيها أحمد رامي:

ياشباب النيل... ياعماد الجيل

هذه مصر تناديكم فلبوا... دعوة الداعي إلى القصد النبيل

وعندما تاسست الجامعة العربية، واحيت حفلاً لمندوبي الدول العربية، غنت قصيدة عن العروبة، جاء فيها:

زهر الربيع أم سادة نجب... وروضة اينعت أم حفلة عجب

وهى القصيدة التى اقتبس الشاعر في نهايتها هذا البيت الرائع من شعر حافظ ابراهيم:

هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم... فصافحوها تصافح نفسها العرب

وبعد ذلك، غنت أم كلثرم قصيدة" النيل الأحمد شوقى التي قال فيها:

من أي عهد في القرى تتدفق... وبأي كف في المدائن تغدق

وقبل ثورة يوليو بفترة وجيزة، تغنت أم كلثوم برائعة السنباطى وحافظ ابراهيم:

وقف الخلق ينظرون جميعا... كيف أبنى قوَّاعد المجد وحدي

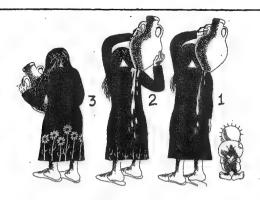
أما عبدالرهاب، فقد غنى فى عام؟؟، أغنبته الجميلة: حب الوطن فرض علي... أفديه بروحى وعني. وفى ٣٦، غنى أيها النيل. وغني نشيد الجهاد" فى ٤١. وغنى فى ٣٤ أنشودة دمشق" و" مين زيك عندى يا خضرة". وفى عام ٤٤، غني مصر نادتنا". و" إلام الخلف" فى ٤٥.

وقد أحصى فيكتور سحاب على وجه التحديد ١١ أغنية وطنية لعبدالوهاب في تلك الفترة.

ومن المكن أن نضيف أغانى مثل على بلد المحبوب وديني وأغنية القطن في فيلم "عايدة" لأم كلثوم، ومثل الكرنك لعبدالوهاب في عداد الأغاني الوطنية.

كل هذه الأغانى هى كما نرى أغانى جميلة ورائعة. ولكن هناك ملاحظات أساسية يمكن ابداؤها على هذه الأغانى لعل أهمها ما يلى:

أولا: أنه كما أشرت سابقا، غاب عن هذه الأغاني غيابا كاملا تقريبا البعد



الاجتماعى من زاوية حال الطبقات الفقيرة المطحونة فى المجتمع وهمومها. بالطبع تتضم فداحة هذا الفياب اذا تذكرنا التراث الهائل لسيد درويش فى هذا المجال والذى ابدعه فى نحو خمس سنوات فقط.

ثانيا: أننا لا نكاد نعثر على أغنيات تواكب الحركة الوطنية وتتفاعل مع تطوراتها وإحداثها العاصفة في تلك الفترة. من الملفت مثلا في هذا الصدد أننا لم نقرأ أو نسمع أن المظاهرات الصاخبة التي شهدتها الأربعينيات، كان المتظاهرون فيها يرددون أغنية أو مقطعا من أغنية لام كلثوم أو عبدالوهاب مثلما كان الحال في ثورة 19 عندما كان المتظاهرون يرددون أغاني سيد درويش.

ثالثا: وهذه هي الملحوظة الأساسية، أن المعاني الوطنية التي تعبر عنها هذه الأغاني هي معاني عامة أشد ما تكون العمومية، لا تعبر عن مواقف محددة، أو تدعو لمواقف محددة. . لماذا؟.

السبب هو أن الأغانى الوطنية لأم كلثوم وعبدالوهاب فى ذلك الوقت كانت محكومة باعتبار اساسى هو الاتغضب النظام، أو تثير رفضه أو تحفظه.

## نصمسرحي

# رحلةسلام

ريم حسن محمد شحاتة الصف الثانى الإعدادي

## الفصيل الأول

## (المشبهد الأول)

صالة فندق كبير فى القاهرة مليئة بالزوار نزلاء الفندق فى جانب راحد هناك مجموعة من الشباب والفتيات يدخل الصالة رجل نو هيبة ووقار معه سجل.

الرجل: أنا الاستاذ أدم مندوب وزارة السياحة ومشرف على الرحلة وكلكم تعلمون أنها جائزة نظمتها وزارة السياحة عبر شبكة الانترنت لجميع دول العالم وأنتم يا شباب من فزتم بها وهي عبارة عن زيارة لجميع مناطق مصر السياحية وسوف نبدأ بزيارة الأقصد وأسوان وعلى كل منكم أن يقوم بتعريف نفسه للآخرين وأمامكم ساعتان للاستعداد لبدء الرحلة.

### (الشباب يجلسون)

خالد: هيا يا شباب سأبدأ بتعريف نفسى، أنا خالد عبد العزيز من مصر بلدى والحمد لله جميلة وهادنة وتعيش في سلام والحمد لله وعندى ١٧ عاماً.

أميرة: أنا أميرة مدحت من مصر عندى ١٥ عاماً ويلدى عرفها خالد.

جاك: أنا چاك جيلفسكون من الولايات المتحدة الأمريكية عندى ١٧ عاماً وبلدى تعرفونها جيدا.

البرت: أنا البرت تشارلي عندي ١٦ عاماً ويلدي انجلترا.

بسام: أنا بسام محمد من سوريا عندى ١٨ عاماً.

ليزا: أنا ليزا فرانسوا عندى ١٩ عاماً وبلدى فرنسا.

سيجاندو: أنا سيجاندو أرتوزو من أسبانيا عندى ٢٠ عاما ككو: أنا كيكو تايجونو من اليابان عندى ١٩ عاماً.

حود: إنا جود سبيد من المانيا عمري ١٦ عاماً.

عبد العزيز: أنا عبد العزيز الأحمدي من السعودية عندي ٢١ عاماً.

جون: جون بيرك من روسيا عمري ٢٢ عاماً.

هالة: هالة مجمود من اليمن عندي ١٧ عاماً.

**عاسین:** اثنا باسین شاکر من فلسطین عندی ۱۹ عاماً.

عادو: أنا بارو مابيكن من جنوب إفريقيا عندي ١٨ عاماً.

يارو: أنا يارو مابيكن من جنوب إفريقيا عندى ١٨ عاما.

خالد وأميرة: أهلاً بكم في أجمل البلاد بلننا العزيزة مصر.

#### ...

## المشبهد الثانى

(اتوبيس ضخم به مجموعة من الشباب العرب والأجانب في طريقهم إلى مدينة الأقصر، جاك يضاحك أميرة).

جاك: أهلا أيتها الحورية السمراء

أميرة: ماذا تريد يا جاك؟

جاك: لقد خطفني جمالك أيتها الحورية السمراء.

اميرة (ضاحكة): أنت عندك قدرة على الكلام لم أر مثلها.

چاك (ضاحكا): ما رأيك في أن نصبح أصدقاء.

(راهم خالد)

خالدا (غاضبا): ماذا تفعل يا فتى؟

جاك: وما شائك أنت؟

. خالد: أميرة ابتعدي من هنا.

حاك: التعد عن أميرة واتركها.

امدرة: خالد لو سمحت ابتعد عنى واتركني وشأني.

خالد: قلت لك ابتعدى يا أميرة وإلا صفعتك على وجهك.

حاك: أنا الذي سأضريك إن لم تبتعد عنا وتتركنا وشأننا.

خالد: (وقد اشتعل غضبا): تذكر جيدا يا فتى أنك أنت من طلب ذلك

(صفع خالد چاك على وجهه وبدأ في الشجار)

المشرف: ماذا تفعلان؟ توقفا ..

خالد: لقد حاول مضايقة أميرة يا سيدي.

چاك: لا تصدقه يا سيدى أنا وأميرة نتعامل كزميلين.

خالد: بأي حق تريد أن تكون زميلها.

المشرف: توقفا أنتما الاثنان، چاك لا تحاول مضايقة أى فتاة مرة ثانية وأنت يا خالد إذا فعل شيئاً تعال وقل لى ولكن لا تضريه

(رجع كل قرد إلى مكانه)

•••

المشهد الثالث (في بهو الفندق والشباب ينتظرون أرقام غرفهم) المشرف: أهلا بكم في مدينة الأقصر أمامكم ثلاث ساعات للراحة ثم يبدأ برنامج الرحلة ارقام غرفكم عند موظف الاستقبال.

أميرة (هامسة لخالد): خالد اسمعنى جيدا لا تحاول أن تكون ولى أمرى وأن تحاسبني على أفعالي وأتركني في حالي ولا تتعرض لي.

خالد: أميرة أنا أحاول أن أحافظ عليك

امعرة: إنا لا أريد منك ذلك

خالد: أنت صديقتى وإعاملك كأنك أختى ومن حقك على أن أحافظ عليك من أي حقير يريد أن يتعرض لك

أميرة: وإنا لم أطالبك بهذا الحق وإذا تعرضت لجاك لن نصبح أصدقاء.

خالد: إذا رايتك مع ذلك الحقير بالذات سأولعنكما ضريا.

أميرة: لماذا تكره چاك بالذات يا خالد.

خالد: لا أظنك جاهلة أو غيرمتعلمة حتى لا تعلمي ما يفعله الأجانب بالعرب.

أميرة: أه.. الآن عرفت سبب كرهك لجاك هو ما فعله الأمريكيون بالمراسلين الصحفيين في فندق فلسطين ومن بينهم أمك.

خالذ: لا تتكلمي عن أمي.

أميرة: اسمعنى يا خالد چاك ليس له ذنب فى ذلك بل إنه يعانى من نفس الجرح فابوه جندى أمريكى قتل أيضا على أيدى العراقيين.

خالد: ماذا تقولين؟

أميرة: أفهمنى يا خالد أنت أعز أصدقائى چاك فتى مهذب كان يريد أن يكون صديقاً وما كان يقوله لى ويفعله معى ليس أكثر من السخرية والضحك أرجوك يا خالد فكر في كلامي جيدا.

### (المشبهد الرابع)

(يقف خالد امام معبد هابوو ويبدو عليه انه ينتظر احداً، رأى چاك فنادى عليه).

خالد: چاك .. چاك.. انتظر

چاك: ماذا تريد؟ ألم يعجبك ضربى فى المرة الأولى وتريد أن تضربنى مرة ثانية. خالد: لا .. أريد أن اتحدث معك قليلا.

چاك: تفضل ماذا تريد أن تقول؟

خالد: قل لى ماذا تريد من أميرة؟

**چاك:** أميرة هل تحبها يا خالد.

خالد: لا .. ولكنها صديقتي وأختى وأيضا جارتي وأريد أن أحافظ عليها.

چاك: لا تخش شيئاً فأنا لا أريد منها سوى أن تكون صديقة لى تخفف عنى غريتى. خالد: لقد أرجتني.. جاك أريد أن أسالك سؤالاً أخبراً.

چاك: هيا قل ما هو؟

خالد: ما هي نظرتك وفكرتك عن العرب؟

چاك: أنا لم أكن أكرهم ولكن بعد أن عرفت أنهم ليسبوا مجرد إلا أشخاص مخادعين كرهتهم.

خالد: (غاضبا): وفيما خدعوك يا حضرة الأستاذ؟

چاك: الم تطلبوا مساعدتنا وبعدما ساعدناكم قتلتمونا.

خالد: نحن لم نخدعكم ولن نطلب المساعدة منكم بل أنتم الذين خدعتكم أنفسكم.

چاك: ماذا تقول؟

خالد: أقول إننا شعب مسالم لا يحب الحرب وانتم الذين يبهركم منظر الحرب ويروق لكم منظر الدماء وتعشقون مناظر الدمار.

چاك: أرجوك يا خالد لا تقل ذلك.

خالد: أليست هذه هي الحقيقة؟

چاك: «باكيا» لا: نحن لا نعلم شيئاً من هذا نحن نظن انكم شعبا غير متحضر وهمجى ولا يعلم شيئا عن المدنية.

خالد: لقد أضحكتني.. لا تعرفون شيئا كيف؟؟

حجاك: صدقني أنت لا تعلم ماذا حدث لي.

خالد: ماذا يا شعب المآسى (سخرية)

چاك: لا تسخر منى أرجوك لقد دمرتنى الحرب بل دمرت أسرتى بكاملها. أخذ أبى من بيننا فى يوم وليلة دون أن نعلم لهذا سبباً، كل ما قاله لنا إننى سوف أعود بسرعة. إننى سوف أشارك فى نجدة شعب بكامله والشعب هو من طلب منا هذا.

وقيل لنا إن هذا الشعب سوف يقابل أبي ومن معه بالورود ويالها من ورود.

وبعد فترة ليست بطويلة جامنا من يخبرنا بوفاة أبى داخل تلك البلاد التى ذهب لنجدتها.

خالد: أه .. أه .. أه يا چاك لقد شربنا من نفس الكأس وتجرعنا منه كثيرا فذهبت أمى مراسلة صحيفة في هذا المكان أيضا وقد الآقت نفس الصير دون أن أعرف السبب حتى الآن وكل ذنبها أنها ذهبت لتؤدى عملها بأمانة وإخلاص.

(شرع الاثنان في البكاء أخذ خالد چاك بين أحضانه وهو يبكي).

...

## الفصل الثائى

(المشبهد الأول)

(اتوبيس يحمل نفس الطلاب متجهه لمحافظة اسوان ومنها لتوشكي) (شاشة تلفزيون ويشاهدها الطلاب)

مذيع التليفزيون: مقتل أربعة أشخاص عراقيين على أيدى قوات التحالف. خالد (غاضعا): أرجوك يا جود غير القناة

مذيع أحر: انفجار في رام الله.

خالد (وقد اشتعل غضباً): إلى أى مدى سنظل الكرة الأرضية كتلة ملتهبة من الدمار والحرب، إلى أى مدى سيظل ملايين من البشر يعانون من ويلات الحروب، لقد تعبنا، أين السلام؟

- ياسمين (باكيا): هذا منظر واحديا خالد فما بالك بنا ونحن نرى أبشع من هذا

كل ساعة وكل يوم؟

سيجاندو: إلى أن يصبح البشر كلهم يحبون بعضهم، ويجتمعون على كلمة السلام فالسلام والأمن والاستقرار في العالم مسئولية جماعية وليست مسئولية فردية تتناها دولة وجدها.

خالد: أه.. أه يا سيجانس لو كل ما تقوله تحقق ستصبح الكرة الأرضية كأنها جزءاً من الجنة.

> أميرة: أرجوكم كفي .. كفى وانتبهوا إلى إننا قد وصلنا. جاك: إذن هيا بنا.

> > ...

### المشبهد الثانى

(محطة الرفع بتوشكي على منصة المشاهدة في البحيرة العملاقة) جاك: أبعجبك المنظريا خالد.

خالد: بل يبهرني ، ترى هل البحيرة عميقة جداً؟؟!!

**چاك:** بالطبع يا خالد .. احذر.

**خالد**: ياه إنها عميقة جداً بالفعل (يقول هذا وهو ينزل رأسه لأسفل)

(يفقد توازنه ويهتز ويكاد أن يقع، چاك يمسك به) جاك:.. احذر

هيافه ، الحدار،

خالد: أه .. جاك شكراً لك لقد انقذت حياتى، أنا لا أعرف السباحة. حاك: أقولها لك للمرة الألف. أحذر ما خالد ولا تكن متهوراً.

امعرة: ما بكمًا؟ ماذا حدث؟

چاك: لا شيء.

### (خالد بنظر إلى چاك مندهشا)

چاك (هامساً لخالد): لا تقل لأحد عن الذي حدث.

خالد (مندهشناً): أنا أسف على ما فعلته من قبل، أنت إنسان عظيم.

چاك (مبتسما): شكراً يا صديقي.

•••

## المشهد الثالث (الشباب على الدراجات يتسابقون)

**چاك: هذا** مثير جداً. ·

خالد: أحذر.. لا تقد بتهور يا چاك.

چاك: لا تخف على أنا بطل العالم في سباق الدراجات.

(فجاة جاعت سيارة مسرعة صدمت چاك أثناء انشغاله بالحديث مع خالد)

خالد ويسام (يصرخون): چااااااك

ستار

## الفصل الثالث

(المشهد الأول)

(فى المستشفى طلاب ومعهم مشرف فى غرفة الانتظار، دخل الطبيب) الطبيب: هذا الفتى فصيلة دمه نادرة جداً، هل أحد منكم مستعد للتحليل والتبرع. خالد: أنا مستعد يا دكتور.

(قام الطبيب بأخذ عينة من دم خالد)

(بعد القحص)

الطبيب: الحمد لله إنها من نفس الفصيلة.

خالد: هيا خذ ما تحتاحه.

(احد الطبيب كمية الدم)

### (وقف خالد وهو يترنح)

الطبيب: ما بك يا خالد؟

**خالد:** لا شيء.

الطبيب: لا تعاند يا خالد وقل ما بك؟

خالد: أشعر بدوار خفيف.

#### (وقع خالد على الأرض فاقدا الوعي)

المشرف (منزعجا): ما به يا دكتور؟

الطبيب: يبدن أنه يعانى من أنيميا، وكمية الدم التى أخنناها منه أثرت عليه، سأضعه في الحجرة وأمر المرضة أن تضم له المحاليل.

(أخذ الطبيب والممرضة خالداً إلى غرفة جاك)



#### (المشهد الثاني)

(الطبيب يضع لحاك كمية الدم ويعلق له المحلول، افاق حاك)

چاك: ماذا جرى لخالد؟

الطبيب: يبدو أنكما صديقان حميمان فقد تبرع لك بكمية كبيرة من الدم أدت إلى فقدانه الوعي، وحمدا لله على سلامتك.

### (افاق خالد ونظر حوله)

چاك: حمداً لله على سلامتك.

**خالد:** حمداً لله على سلامتك أنت يا بطل.

چاك: شكراً لأنك تبرعت لى بدمك.

خالد: لا تشكرني، أنت أنقذت حياتي.

چاك: أتدرى الآن أن دمنا أصبح واحداً.

خالد: نعم دم جنس واحد ..الجنس الآدمي.

چاك: لو لم يكن بيننا حب وسلام لم نكن لنفعل ذلك.

خالد: لو لم يكن بيننا حب وسلام لكنا متنا نحن الاثنين.

چاك: نعم هذه هي أهمية الحب والسلام في حياتنا.

خالد: إنه يحفظ لنا حياتنا وأمننا ومستقبلنا.

چاك: ماذا أعطت لنا الحرب بجانب ما أعطاه لنا السلام.

خالد: حلمى أن يكون من حق الطفل وهو فى رحم أمه أن يحلم بسلام. چاك: يا ليت البشر يصبحون مثلنا.

(تعلو الضحكة شفاههم)

...

#### المشبهد الثالث

(الشباب في بهو فندق بالقاهرة وقد شفى خالد وچاك)

خالد: ما رايكم في فكرة مجنونة.

چاك وجود: أسرع ما هي؟

بسام: أرجوك يا خالد كفاك أفكاراً مجنونة.

هالة: لا. نحن نحب أفكار خالد.

سيجاندو: أرجوك يا خالد لقد وعدت أمى أن أعود لها سالماً.

خالد: انتظروا .. انتظروا إننا لن نطير بمنطاد، أو نرمى انفسنا في نار، ونقول فكرة مجنونة.

البرت: إذن ماذا تكون هذه الفكرة المجنوبة؟

خالد: إننا سنقوم بعمل أوبريت عن السلام، وكل واحد يغنى بلغة بلده.

ياسين وليزا وجون: إنها فكرة جيدة.

(قام خالد بالتنظيم، وقاموا بعمل اوبريت)

رحلة السلام

## جيوب مثقلة بالحجارة والألم

### عالية ممدوح

الشاعرة المصرية فاطمة ناعوت مهندسة معمارية أيضاً ومترجمة عن الانجليزية، الطاعري «مشجوج بفاس» عن سلسلة أفاق عالية، الهيئة العامة لقصور

الثقافة. ثم انطولوجى قصصى عن دار شرقيات «قتل الأرانب». لها أربعة دراوين شعرية «نقرة أصبع» ودعلى بعد سنتيمتر واحد من الأرض» ووقطاع طولى فى الذاكرة» و«فوق كتف امراة».

منذ إطلالتها الأولى اتابعها وقصائدها التى تنقض عليك وتكشط قشرتك واقنعتك. في عموم ما قرآت لها كان للهندسة اقتراحات فاتنة في وحشة وحرقة اسئلتها، كأنها تري، أن ما نراه أمامنا من بشر ومعمار بشع كالفضيحة، هو الذي يسرق حياتنا فكانت تنتظر الصاعقة من القصيدة، قصيدتها لكن كما يبدو أن شعرها لم يكفها وكأن هناك احتمال فقده وسط كل هذا الخراب من حولنا . فكانت تذهب إلى اختيارات وتقاطعات فنية ووجودية ما بين التراجم والكتابة، ما بين ذاك الذي لا يعوض، الشعر، وذاك الذي يغرى بالمجازفة، الهندسة المعمارية والترجمة. وهذا ما يعلن جليا عن اختياراتها على الخصوص في هذا الكتاب الجميل والعذب الذي

لا يكف عن الاشتباك في الروح عن وحول الكاتبة الذائعة الصيت فرجينيا وولف فتختار اقصوصة لم تترجم إلى العربية: «رواية لم تكتب بعد» مع عرض تاريخي وثقافي ونقدى وحوار متخيل مع وولف في ختام الكتاب. هذا الكتاب راجعه الدكتور ماهر شفيق فريد استاذها وهو ناقد ومترجم وكاتب قصة قصيرة واستاذ الأدب الانجليزي بكلية الآداب جامعة القاهرة، نعم، إن لدى إفراطاً في حبى وإعجابي بفرجينيا وولف . حين كنا نعيش في مدينة برايتون في انجلترا في الثمانينيات، اصطحبني ابني إلى نهر أووز الواقع بالقرب من دار سكني وولف ببلدة سيكس، حيث اثقلت جيوبها بأنواع من الحصى والحجارة، سارت في مجرى ذلك النهر حتى اختفت قامتها الطويلة: كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحاً ومعها عصا التحوال.

عبرت المرج الذى يفصل بيتها عن النهر ثم توارت فى ذلك النهر تماما، كان ذلك فى اليوم الثامن والعشرين من شهر مارس فى العام ١٩٤١ الكتاب مترجم بالطبع ويه مختارات ذكية وشجاعة، فالشاعرة فاطمة ناعوت ونحن القراء كنا نرصد معها تلك الرحلة القاتلة لقامة أدبية وفكرية بصمت بدايات القرن العشرين وحتى اليوم بجوار جويس وبروست. فاطمة ناعوت ذكرتنى وجعلتنى استدعى جميع المراثى منذ اليونان وحتى اليوم فى تلك الميتة المرعبة. كانت تتابع كتابات المؤلفة وولف ثم تعرف بها ويشخصيتها المريضة ذات الوقائع العصابية والصدامية لجميع من حولها (أفراد

إن المتتبع لحياة ومؤلفات وولف يتوجب عليه اكتشاف أن الكاتبة كانت تهدئ عداب انتظارها للموت باستعجاله لكنها لم تفلع. لقد كان الفقد والهجر طراز حياتها، أوله الأم، ثم الوالد باحتضاره البطئ ثم موت الشقيق المحبوب بحمى التيفوئيد بعد رحلة إلى أوربا.

وولف سيدة كان الحزن أثقل من جميع جبال العالم في وجودها، يثقل صدرها وروحها. لم تعد تمتلك قوى لكي تقاوم ما سببته الحربان الأولى والثانية في ذاتها لقد ظلت وولف تتصور أن الموت مكشوف أمامها والرعب ظل يحاصرها فيما إذا فقدت

اصدقاء جدد فى الحرب الثانية بعد ما فقدت أغلبهم فى الحرب الأولى. «فعقدت العزم وزوجها على الانتحار معًا بالغاز حال حدوث ذلك، الحرب الثانية». فزوجها يهودى وكانت تخشى من وصول النازيين إلى انجلترا. فى الحرب الأولى قتل جوليان بيل. ابن شقيقتها. إن ترويع الحروب هو أحد العوامل الأساسية التى رجت جهازها العصبى. بدأ مرضها العقلى وهى فى الرابعة والعشرين.

جل حياتها مبتوثة في أعمالها بهذا الشكل أو ذاك. ففي رواية «الخروج في رحلة بحرية» تحكى قصة «العشاق التعسين المنهزمين» في رواية السيدة دالوي الشهيرة الصادرة في العام ١٩٢٥ كانت تحمل ذلك السؤال الجهنمي «عما إذا كان هناك هدف وخطة وراء حياتنا؟ لماذا نستمر في الحياة في وجه الألم والمنساة؟» في رواية «صوب المنارة» جعلت والدتها الشخصية المركزية فيها.

اما رواية «أورلاندو» ١٩٢٤ فهى «رواية فنتازية يتتبع السرد فيها مصير البطل الذي تحول من هوية ذكورية إلى الهوية المؤنثة» أما رواية «الأمواج» فهى «تعد من أعقد رواياتها وإذ نتبع فيها حيوات سنة أشخاص منذ الطفولة وحتى مراجل الشيخوخة عبر حوار ذاتي أحادي، مونولوج يناجى كل واحد نفسه» كتب أحد النقاد في نيويورك تايمز: «إن وولف لم تكن حقا مهتمة بالبشر لكن اهتمامها الأكبر كان بالإشارات الشعرية في الحياة».

أما كتابها النفيس: «غرفة خاصة للمر» فقد كان ومازال مانفيستو لقضايا المرأة التى كانت وولف ترى أن الغبن والظلم والإذلال قد طالها هى شخصيا حين ذهب إخوتها إلى المدرسة وبقيت الفتيات يتلقين علومهن بالبيت. كتاب الغرفة كان فى الأصل محاضرة أطلقت فيها وولف مقولتها الشهيرة: «إن النساء لكى يكتبن بحاجة إلى دخل مادى خاص بهن وإلى غرفة مستقلة ينعزلن فيها للكتابة».

تجلل وولف جميع تلك المعوقات والصعوبات التى تعترض تطور مشروع المرأة الأدبى والثقافي، بين المرأة بوصفها «شيئا أو موضوعا» يمكن الكتابة عنها «كمؤلف أو كمبدع». معظم المنجز الأدبى كتبه رجال انطلاقا من احتياجاتهم الشخصية ومن أجل استهلاكهم الشخصين. ثم استشهدت وولف بمقولة كولريدج: «العقل العظيم هو عقل

لا يحمل نوعا فإذا ما تم هذا الانصهار النوعى يغدو العقل فى ذروة خصوبته ريشحذ جميم طاقاته.

كنت ومازلت اجمع كل ما يقع بين يدى ويصدى عن هذه الكاتبة، اقتنيت يومياتها وحاولت ترجمة أجزاء منها من أجلى. لها ركن خاص فى مكتبتي، ولها أغلب الخانات فى رأسى كنت أشاهد صورتها الشهيرة التى ظلت تنشر وتواصل النشر. صورتها هذه الجانبية ذات النبالة المترددة، التى لم تعرض فى تلك الصورة إلا حزنا شفيفا منشورا كالماس والذهب أو مزيجا من الاثنين وهى تختفى داخل فزعها وهلعها من الوجود ذاته.

وراف لا تشعر بالحياة ولا تستحضرها إلا باعتبارها جلبة عكس صورها الساكنة كصفحة بحيرة ساكنة. إن وسواس الموت كان قائماً في اعماق جميع اثارها الادبية، به تتخلص من ورطة الحياة وبه أيضا تحاول أن تشاهد شيئاً من صلابتها كما كانت تتصور في رواية الأمواج: «فلنحاول أن نعتقد بأن الحياة شيء صلب، كرة نستطيع أن نجعلها تدور تحت أصابعنا. لنحاول أن نعتقد أن بإمكاننا أن نجعل منها حكاية يسيرة منطقية تنتهي بالحب مثلاء قبل ذهابها إلى النهر وهي مليئة الجيوب بالأحجار كتبت رسالتين، الأولى إلى شفيقتها الرسامة فينسيت بيل، وفيما بعد إلى زوجها، قالت له: «لقد وهبتني اعظم سعادة ممكنة. كنت دائما لى كل ما يمكن أن يكونه المرب الأهنل الأظن أن ثمة زوجين حصلا ما حصلناه من سعادة، إلى أن ظهر هذا المرض اللعين لقد كافحت طويلا ولم يعد لدى المزيد من المقاومة. أعرف أنني أفسدت حياتك. لقد كنت صبوراً إلى حد وطيبا على نحو لا يصدق. إذا كان ثمة من انقذني فقد كان

فى برايتون يوم ٢١ إبريل تم إحراق الجثمان فى عزلة وصمت ثم نثر رماده تحت إحدى شجرتى الدردار حول منزلها كنت اسير فى شوارع برايتون وقتداك، أطل على نلك السياج وانتبع خطى سير ذاك الرماد. بين الأوراق، أوراقها وأوراقى كنت استدير ونبرة صوتى تختنق وجميع ترددات القلب كانت تذهب إلى النواح، لا أحيد عنها لكننى أعرد تقريبا درريا إلى مؤلفاتها، إليها، إلى صورها ويومياتها ورسائلها،



إلى ذلك الكتاب الضخم الذى الفه ابن شقيقتها -- كوينتين بيل - الذى حاول أن يفند الشائعات أو يبطل بعض الفضائم التى رافقت وجودها.

لم أفضل تلك الطرق والأساليب في التخلص مما علق من شوائب في روح وثياب وصيت فرجينيا وولف، فالسؤال هو: الا تشكل كل هذه الشوائب والأعاجيب التي عاشتها شخصيتها الحقيقية ونزواتها العاطفية والجنسية وتلاطمها بتلك الأمواج التي كسرتها ولم تتوقف عن التلاطم إلى ما شاء الله، ألا تشكل جميع إرث فرجينيا وولف وإرثنا معها؟

# تشكيل

## ثقافة المعارض الفنية

### كمال الدين عيد

#### مدخل

فى العصر الحديث لا يظن أحد أن معارض الفن التشكيلي بعيدة عن تعبير أو مضمون الثقافة. فبعد انبثاق مصطلح الثقافة الوظيفية العملية – والمنتشر بخاصة في فنون العمارة – تحديدا في النصف الثاني من القرن العشرين، قام جسر جديد بين الثقافة والفنون التشكيلية لتحقيق المذهب العملى الانتفاعي بين فنان يبدع ومشاهد لمعرض تشكيلي.

عملت المنهجية العلمية على تحديد قياسات لعارض الفنون، عرفت بالقياسات العلمية الثقافية بعد أن كانت المعارض تقام في السابق دون النظر إلى مثل هذه المسارات العلمية. وكان من نتيجة التقدم العلمي – والثقافي أيضاً – أن البحوث في هذا المجال خرجت على العالم بالأسس اللازمة لمعارض الفنون، بما أكد المعالقة الوثيقة المعاصرة

بن الثقافة الوظيفية وهذه المعارض. فإذا كان الإعلام في وظيفته الأساسية هو أداة التصال من خلال العلاقات العامة أو الإذاعة أو التلفزيون أو الصحافة أو المسرح، فأن المعارض الفنية أداة أتصال لأنها عرض، ثم استقبال ثم فهم ذو بعد ثالث، على اعتبار أن وسائل الاتصال في الإعلام لا تتمتع إلا ببعدين أثنين هما العرض والاستقبال.

وبعيدا عن التاريخية، فأن أول معرض تشكيلي في العالم هو الذي اقامه الفرعون بطليموس فيلوميتر في القرن الثاني قبل الميلاد بمناسبة زواج أخته الكبرى كليوباترا، والذي عرض أعمالا فنية من فنون ممفيس وطيبة.

### علاقات أساسية (الفضاء، الزمان، الحركة)

من نافلة القول إن القطعة الفنية في أي معرض تشكيلي في بعدها الاتصالى الثالث إنما تنشأ نتيجة أسباب جسمانية فيزيكية، باعتبارها تجسيدا لموضوع أو لفكرة تخاطب العين والأحاسيس الداخلية للمشاهد لتقعل بمضمونها الفني خطوات تجاه التأثير. فعبر علاقة العناصر الثلاثة الفضاء، والزمان والحركة يتكون الاتصال دو الأبعاد الثلاثة. فليست المشاهدة (الرؤيا) أو الاستماع إلى موسيقي مصاحبة أحيانا في المعرض التشكيلي هما كل شيء. لأن الحضور الفعلي للمشاهد، ووجها لوجه مع الفن المعرض يحقق موثوقية الاتصال (هذا إذا نجح المعرض بقطعه الفنية في التأثير وإيصال المشاهد إلى لحظة التكيفية.

وإذن، فأن التكوين المقلى للمشاهد يكون جزءاً من هذا الاتصال. عادة ما يكون المشاهد في حركة. يأتى إلى ضالة العرض ثم ينصرف، وكل هذا يحدث في الفضاء وفي زمن معين. وهما كالأشابة (خليط من معدنين يتمازجان مع الحركة) لتقترب جميعاً من الأفكار التي يحملها المعرض وما يهدف إليه من فن وثقافة.

ولجمهور المعارض محرك للزمن يبدأ مع الموضوع، ثم الإعلام بالأفكار كنهاية للزمن. لكن البداية والنهاية تتوسطهما المادة التشكيلية واللبني (صالة العرض) وما يعتريهما ويتداخل معهما من أحاسيس. وعلى ذلك، فإن حقيقة الزمن – من ناحية طوله أو

اتساعه - تضيف بعدا رابعا إلى فعل الأتصال، يتجلى في سرعة حركة المشاهد من بطئها، أو في وقوفه متمعنا أمام لوحة أو قطعة فنية، أو المرور عليها مر الكرام. يشير علم (تصميم المعارض) إلى ضرورة الفصل بين كل من الإحساس والفهم. فهما مرحلتان تتبع الثانية فيهما الأولى ولا تحدثان في زمن واحد. مرحلة الإحساس ذائية موضوعية تدرك بالحواس، بينما مرحلة الفهم تستند على التعليم والثقافة والعقل. لكنهما يصلان إلى أهداف المعرض وجوهره وما هيته في النهاية.

#### بناء المساحة والحركة

المساحة هى الفضاء فى المعرض، وهى الأداة المصدة لكان المعرض فى البني. مرت على مدى التاريخ وعصوره بتغيرات واختلافات. ولهذه المساحة وظيفة طقسية من ناحية تأثرها بالنسب المكانية، وقوة التعبير، الريثم الداخلي، تحقيق توليد التأثير، ثم بناء وتشييد (الفهم) للمشاهد على آساس نفسمقلي. كما تظهر عناصر البيئة فى الاشكال والمستويات وكثافة المجموعات والجماهير.

على ذلك تصبح المساحة هي اداة المعرض التي تحقق النتائج تجسيدا عبر تلك المستريات. وكلها إعداد وتحضير قبل افتتاح العرض تتمحور في فلسفة المساحة، قوى التعابير المختلفة، نظم الأشكال، نسب المساحات المكانية، تصميم علاقات المعروضات. ومن الصعب الوصول إلى (صيغة فنية متحدة) لكل هذه وتلك إلا بمناقشات مباشرة في مرحلة الإعداد. وهي هي نفس المساحة التي تؤثر في فيزيكية المساهد، وفي وجوده الفسيولوجي. فهو يشعر – اثناء تجواله – بتأثير المساحة على المعروضات وكذلك بحالته المعنوبة: هل المعرض مريح؟ أم هو غير مرض؟ مضايق تقيل الوطأة قابض للصدر؟ أم هو يبعث على الراحة والابتهاج؟ طبيعي أن القطعة الفنية في المقام الأول ومن بعدها المساحة في الدرجة الثانية تكونان العلاقة بين المعرض والمشاهد. وساعتها فأن عين المشاهد لا تلاحظ نظام المساحة أو تعبه لأنها تكون منشطة بالأبعاد والزوايا والعلاقات في القطعة الفنية، وفي اتصال زمني.

أما الفهم فأنه يبنى على المعرفة، وعلى استدعاء العقل مكونا في النهاية الحالة

المزاجية العامة للمشاهد. إن تصميم المعرفة، وتكوين نظام العناصر الفنية، والتوكيد على بعضها دون البعض الآخر، ثم تعاقب لوحات المعرض ومعروضاته في تتابع أو سلسلة متوالية، والعناية بالتأثير المهم للمساحة، كلها تقع جميعها على عاتق مخرج المعرض أو معده، وعلى الوسائل التي يستعملها في الساحة. فبدون التصور والقصد والهدف – العناصر الأساسية لثقافة المعارض الفنية – من الصعب إن لم يكن من المستحيل نجاح المعارض في العصر المديث. وعلى حد قول أفلاطون «إن الشكل هو حدود الصورة التي يجسدها».

وعلى ما تقدم؛ فأننا نرى أن نعوذج تصميم المساحة في معرض ناجح يتطلب العوامل التالية:

أ - أن يكون النموذج مناسبا لقصد المعرض وأهدافه.

ب - أن يصبح النموذج متناسقا متوازيا مع مخطط البنية الفكرية، بقصد إيجاد علاقة نافعة بين أهداف المعرض ومخططه الفكري. بمعنى أنه إذا أفصحت أو أشارت الأجزاء أو المعروضات إلى علاقة بينها، فإن الإدراك الحسى انذاك يقود إلى القدرة على الفهم، الذي يساعد على وجود العلاقة الظاهرة، وعلى جعل الإجزاء والمعروضات متناسبة متسقة، وعلى ميلاد الإيقاع اللازم لأئتلاف أجزاء الأثر بعضها ببعض بحيث تؤلف (كلاً فنيا)، وكذا على بروز التركيز اتساعا وضيقا.

### المعوقات والعقبات

تتعرض إقامة أى معرض تشكيلي إلى عقبات نوعية، يحسن أن أشير إليها هنا لتفاديها والعمل على الهروب منها. وهي معوقات طبيعية بالنسبة إلى الأعمال الفنية المعروضة.

 ١ – من الأفضل أن يحسب مهندسو تصميم المعارض المرات، وطرق الاتجاه إلى المعروضات بحسب الأولويات (بمعنى فيما يريدون نقله إلى الجماهير وحصرها في هذه الأولويات).

٢ - من المفيد أن يراغى مصمم المعرض رغبات الجماهير بالنسبة إلى ترتيبات

#### الأعمال المعروضة.

 ٣ - ليس هناك قانون أو تقليد أو حتى عرف يحكم النقطتين السابقتين. لكن تنظيمهما يعود إلى الحس وإلى المعرفة الفنية بنوع هذه المعروضات (لا قاعدة في الفن).

 كلما كان الحس والمعرفة الفنية قريبان من إدراك المعروضات، تحققت أهداف إقامة المعرض والعكس بالعكس.

٥- Determination إن التحديد الحاسم في ترتيب نظام المعروضات وأولياتها لا يعنى القيد أو تقييد المشاهد، بقدر ما يجب أن يكون مساعدة وعونا له للوصول إلى مغرى المعرض والهدف الذي أقيم من أجله. ويدون إيجاد هذا التوازن الدقيق، فإن المعرض لن يحصل في النهاية على شوق أو انتباه المتفرج، قدر ما يخسر الهدف من اجتذابه وإثارة الفضول لديه.

٦ - أنبه إلى تعارض يكمن في معارض الفن التشكيلي.

فالمعرض - كأداة خاصة - يتأرجح بين عاملى التصميم المقيد، والصيغة في الذوق. واعنى بذلك عدم وجود التصور الواقعي وهما عاملان هامان لابد لهما من حسابات معقولة ومفهومة. وهذه الحسابات تخرج إلى حيزى الزمان والمكان عندما يحس المشاهد بالراحة والرضا أثناء التجوال في ممرات المعرض، وسباعتها فلن ينشأ عندى أي إحساس خارجي غير طبيعي.

### المظهر (الصورة الإنشائية العامة)

ينصب منظرو ومنظمو المعارض العالمية في دراساتهم ومؤلفاتهم بتسلسل الأشكال في تصميم المعارض على الوجه التالي:

#### - الشكل الأول:

وضرورة تركيزه على (وحدة) متناسقة بين الموضوعات للوحات المعروضة أو القطع الفنية، وبين تصنيفها في مجموعات.

#### - الشكل الثائي:

يؤكد هذا الشكل القيم العقلية أو الأخلاقية أو المادية في مجموعة من العروضات حين توضع - في المعرض ترتيبا - إلى جانب بعضها البعض ، وكذا في تسلسل مكاني وزمني لسنهولة الوضول إلى الهدف العقلي أو الأضلاقي أو المادي عند المشاهد.

#### - الشكل الثالث:

والوصول إليه يقع على عاتق مهندسى المرض أو منظم معروضاته. فكلما كان القصد مركزا ومكثفا في عرض أهميات الجماعات الفنية المعروضة بطريقة موضوعية مجردة عن الغرض، تحقق الريثم الطبيعي للمعرض ودفع التكثيف إلى مصاف عليا.

### -- الشكل الرابع:

وهو شكل يختص بالتعبير عن الزمن أو الوقت الحقيقى وتعمل ثلاث حقائق فاعلة على تحقيقه أولاً؛ كمية المعروضات، وثانياً: عظم التكثيف الذى يخلق زوايا محددة وحدودا فى الفراغ لكل قطعة فنية، ثم ثالثاً: الوقفة أو الموهبة الطبيعية للمشاهد وللزمن الذى يستغرقه أمام قطعة من القطع الفنية.

## البرئ

### د. فخرى لبيب

استدعيت المثول أمام النيابة ، استقبلني المحقق مرحبا. حاول أن يضفي جوا مصطنعا من الألفة. قال:

- الشيوعيين الجداد م توصلش معاهم لحاجة. حفظين كلمتين تلاتة يردو بيهم على جميع الاستلة: معرفش، محصلش، مشفتش، لكن الشيوعيين القدام شبجعان ، ناس دوغرى، تقول للواحد فيهم أنت شيرعى، يقولك أه. يدافعوا عن أراهم، من غير لف أو دوران.

ضحكت بيني وبين نفسي. هذا المحقق يظن أني شيخ غر. قلت أجاريه:

- والله كلام سيادتك طيب جدا بالنسبة للقدام. بس أنا معرفش الجداد عشان أحكم عليهم.

نظر إلى بعينين تقولان: أول القصيدة كفر. قلب الأوراق أمامه. غير الهجته:

- بس الورق اللي قدامي بيقول غير كده.

تساطت في براءة:

- بيقول إيه؟ إن شاء الله خير.

#### ابتسم متحديا

- بيقول إنك تعرف الجداد كويس قري. وإنك عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى تمانيه يناير.

قلت مندهشا وإنا ارد له السيامته:

- أنا أصلا معرفش حزب اسمه تمانيه يناير.

تسامل بمزيد من الجدية:

● تعرف واحد اسمه توفيق محروس؟

- أيوه أعرفه.

🗨 تعرفه منين؟

- كنا محبوسين سوا خمس سنين.

● أه. تعرف حد اسمه رجائي السمنودي؟

- أعرفه طبعا . كنا محبوسين...

وأكمل هو:

- خمس سنين في الواحات.

- بالظبط كده.

● تعرف بهجت الدمنهوري؟

.¥ ---

● ولا سمعت عنه؟

- ولا سمعت عنه.

• تعرف إيمان يوسف؟

- لأ. ولا سمعت عنه.

ابتسم في خبث.

- دى واحدة ست، مش واحد.

ثم عاد ينظر في الأوراق أمامه.

تعرف كمال حليم؟

وقبل أن أجبب قاطعني:

- ده شاب بتاع خمسة وعشرين سنة.

قلت مؤكدا:

- اللي أعرفه أنا في دوري كده أو أكبر كمان. وهوه شاعر.

قال وهو يهز رأسه:

- أيوه، أيوه، بتاع زمان.

– بالظبط كده.

استمر يهز رأسه ، سألته:

- وهمه مين دول اللي سيادتك قلت اسماءهم.

وقال وهو ينظر في عيني:

- زملاتك في اللجنة المركزية.

قلت مندهشا:

- زملاتي ومعرفهمش.

ظل يهز راسه.

- احنا مش اتفقنا أن القدام جدعان ودوغري.

أكدت ما قال:

- تمام. بس سیادتك عاورنی اعترف علی ناس انا معرفهمش عشان ابقه جدع! واصل هزراسه.

- عموما هنتقابل تاني. بس وقع ع الحضر

قلت:

- بس قبل م وقع على المحضر أحب أسجل إنه قبض على دون أمر قبض أو تفتيش وبالتالى فكل الإجراءات الجارية باطلة.

قال في ضيق:

● وإن ما سجلتش؟

قلت:

- أسف مش هوقع ع الحضر.

قال للكاتب سجل. سجل الكاتب فوقعت على المخضر وانصرفت إلى ليمان طره.

•••

قضيت يومين أفكر في عمق. أقلب الأمر على وجوهه . أنا حقا است عضوا في هذا الحزب . ما الذي جعلهم يريطون بيني وبينه؟ إنني لا أعرف أحدا من القبوض عليهم، غير من قلت أنى أعرفه. هل يصل التلفيق إلى هذا الحد؟

غير أن هواجسى تفاقمت عندما استدعيت مرة أخرى إلى التحقيق. لقد قال المحقق إننا سوف نلتقى مرة أخرى. كان يهدد . وها نحن نوشك أن نلتقي.

عندما دخلت عليه في حجرته، وقف مسلما، قال:

أهلا برجنيف مصر.

أحسست بضيق شديد. قلت:

- أنا مصرى. ومش برجنيف على أى حال من الأحوال.

قال في تباسط:

- بلاش تواضع يا راجل.

سالته:

• سيادتك عاون تقول إيه بالظبط؟

تال في جديه: قال في جديه:

- دلوقت تعرف.

جلست. سالني إن كنت أرغب في فنجان قهوة أو كوب شاي. قلت إنني لا أشرب هذا ولا ذاك. قال:

- كويس نبتدي.

فتح الكاتب المضر. أحسست بالتوبر.

أنت متهم بأنك السكرتبر العام للجزب الشيوعي تمانية يناير؟

فوجئت . فضحكت.

- من يومين كنت عضو لجنة مركزية، النهاردة بقيت السكرتير العام. ترقية خرافية

فى زمن قياسى.

قال:

- لم تجب عن سؤالي!

قلت:

أنا عاوز أعرف، الترقية دى عشان أنا أكبر المحبوسين سنا؟! أو أنى أقدمهم تاريخا؟ ولا الاثنين سوا؟ وإيه اللي استجد من أول أول امبارح للنهارده؟

قال وكيل النيابة:

● تحريات جديدة. ومع ذلك أنت م جويتش على سؤالى؟ ما ردك على ما هو منسوب إليك؟

قلت صادقا:

- شوف سيادتك، إن أنا أكون السكرتير العام لحزب شيوعي مصري، فهذا شرف عظيم، لكنني لا أدعيه. أن تكون السكرتير العام لحزب شيوعي في مصر، فأنت تقدم على مسئولية كبرى محفوفة بالمخاطر. وهي مسئولية لا يحق أن أزعمها لنفسي، وهي لاخر ، يستحق وحده هذا المجد السامي.

قال:

- تقول التحريات أنك شكلت مدرسة للكادر، وقمت بتدريس أعضائها قواعد الأمن والمحافظة على السرية.

:--15

– لم يحدث.

قال:

- تقول التحريات أنك قمت بمقابلة أحد المرشحين لاختباره حتى يصبح عضوا أو يستبعد تماما من التنظيم.

قلت:

- كيف يتسق تدريبي للكادر قواعد السرية والأمان، وأقوم أنا سكرتير عام الحرب بمقابلة مرشح في صلاحيته ليصبح عضوا، أو يرفض فيستبعد من التنظيم بعد أن أكون قد كشفت له نفسى وحطمت أماني. ألا ترى فى هذا تناقضا هائلاً! فكر مليا.

- فعلا دى مسألة غريبة. كده م تمشيش.
  - قلت له:
- اللى كتب التحريات دى م يعرفش حاجة عن الشيوعية أو التنظيم الشيوعي.
   قاا:
  - اتفق معك في هذا الاستنتاج.
    - قلت:
    - وماذا بعد؟
      - قال
    - ماذا تعنى، بماذا بعد؟
- قصدى . ماذا بعد هذه التحريات التي لا تقف على ساق واحدة. افتكر أنه يجب الإفراج عنى بعد وضوح هذا التلفيق.
  - قال:
  - ليس الآن. لازم أطلع على التسجيلات الصوتية والفيلمية.
    - كدت أضرب كفا بكف.
- سيادتك تحقق معى بناء على تحريات متخلفة وقبل أن تتعرف على الأدلة الصوتية
   والفيامية، وهى الأكثر يقينية، وإن كان يمكن تلفيتها أيضاً!!
  - قال:
  - دى إجراءات لابد منها.

...

جاء يوم المحاكمة . نزلنا من سيارة الترحيل لنسير إلى المحكمة في ممر كالسرداب. أخذنا ننشيد ونهتف، ونحن مقيدين إلى بعضنا البعض، فكان لصوتنا دوى زلزل أرجاء المكان.

عندما بلغنا باب قاعة المكمة، أسرع المامون إلينا. قال الأستاذ نبيه مراد

#### المامي:

- إيه اللي انتو عاملينه ده. هيئة المحكمة زعات وغضبت وانسحبت من الجلسة.

توقفنا عن الهتاف وإن كنا لم نفهم شيئا. ما الذى جاء بهيئة المحكمة إلى المنصة، ونحن لم نحضر بعد؟ وكيف تبدأ الجاسة ونحن غير موجوبين؟

أكمل الأستاذ نبيه مراد:

- أصل زمالاتكن في القضية الستات والأنسات وصلو من ساعة وانتو تأخرتم، فالمكمة بدأت لحين وصواكم.

وتساطنا كيف يحدث نلك والرجال عددهم ثمانية عشر والإناث عددهن ستة فقط. وقال الاستاذ نبيل الجبالي وهو يضحك:

 المسألة مش إناث وذكور. المسألة في عرف المحكمة متهمين، مجرد متهمين. ستة وصلو وتمنتاشر جايين في السكة. وعموما مش دى المسألة. المسألة هي تصفية المسألة دى مع هيئة المحكمة.

تساملنا، وقد حشرنا الحراس في قفص الإتهام الحديدي:

- إزاى يعنى؟

قال الأستاذ نبيه والأستاذ نبيل معا:

- نعتذر لهم.

- بس إحنا م كناش نعرف إنهم ابتدى.

- واحنا هنقول كده برضه.

لم يكن لنا مصلحة في إغضاب هيئة المحكمة. فاستأنن المحامون وبخلوا غرفة المداولة حيث قدموا الاعتذار نيابة عنا.

عادت هيئة المحكمة إلى المنصة، وساد المحكمة صمت عميق. ثم جاء صوت رئيس الهيئة منفعلا بعض الشيء. قال موجها الحديث إلى قفص الاتهام:

~ إننا لم نغضب منكم . لكننا غضبنا خشية عليكم.

ثم بصورة أكثر قوة:

- أنتم من خيرة أبناء هذا البلد. أنتم من صفوة مثقفيه ورموز مستقبله. وبحن هنا

جميعا، قضاء جالس أو قضاء واقف في خدمة العدالة.

كانت المفاجأة مذهلة. العائلات التي كانت تحتل القاعة يكتنفها الخوف والرهبة، أحست أن المنصنة قد أصدرت حكمها، فالهبت أكفها تصفيقا. ثم حل الهدوء من جديد. وقف شاب في قفص الاتهام، وآخر يحاوره، ورفعا يديهما إلى أعلى وقد قيد الكلش معصميهما معا.

#### قال أحدهما:

- نرجو يا سيادة الرئيس ألا نحاكم ونحن في القيد.

أوقف الرئيس الإجراءات التي كانت قد بدأت بالفعل وأعلن أنه:

- في هذا المكان لا قيد على اليد أو اللسان.

ثم موجها كلامه إلى رئيس الحرس:

-- فكو الحديد.

وبدأ وكيل النيابة يتلو اتهامه. كان كثير الخطأ، ورئيس الحكمة الذي كان من الواضح قد اطلع على القضية بدقة، يصحح له.

ثم ترافع الأستاذ نبيه مراد، ممزقا قانونية الاتهام وخروجه على كل شرعية دستورية. ولجوء أجهزة الأمن إلى التعنيب بهدف انتزاع اعترافات كانبة. وفي تلك اللحظة كشف بعض ممن في القفص عن آثار حروق وتمزقات بإجسادهم. وارتفعت في القاعة أصوات الآلم والنحيب.

وكتب رئيس المحكمة ملحوظات ما في أوراق أمامه.

ثم بدأ الأستاذ نبيل الجبالى مرافعته مركزا بشدة على أن القضية ملفقة والبيانات مغلوطة، فهذا كل ما جاء في كلمة الإدعاء. وتأكيدا لفداحة الأخطاء أعلن الاستاذ الجبالى أن الإدعاء يقول بإن المتهمين أربعة وعشرون في حين أنهم خمسة وعشرون من الأبرياء، وأكثر براءة هو المتهم الخامس والعشرون.

وأبدى رئيس الجلسة دهشته، وطلب من النيابة القيام بحصر المتهمين فاكدت أنهم أربعة وعشرون فقط. وتشبث الأستاذ الجبالي بما قال:

وفى تلك الأثناء صعدت السيدة إيمان يوسف فوق أحد مقاعد قفص الاتهام بينما



ابتعد زملاؤها وابتعدت زميلاتها موسعين حولها، لتبدو شامخة وبطنها يمتد امامها، ويشير الأستاذ الجبالي إلى بطنها ويقول في صوت عميق مؤثر:

 ما هو المقسوض عليه الخامس والعشرين ذلك الذى دفع به وراء الجدران والقضيان دون إرادة ، ودون جريرة. إنه البرئ كل البراءة والدليل القاطع على بطلان كل ما قيل من أباطيل.

ووضع القاضى رئيس الجلسة يده على فمه يدارى ابتسامته . وتبادل وعضوا اليمين واليسار نظرات ضاحكة.

وضبجت قاعة المحكمة بالتصفيق.

## ثرثرة...١

### محمود قتاية

فى أرض فلسطين المحتلة كان الإرسال التلفزيوني واضحاً في تلك الليلة من ليالي الصيف ، كانت الصورة معبرة بالألوان، ظهرت في البداية صورة طاولة الاجتماع وقد

صفت عليها زجاجات المياه المعدنية وعصائر الفاكهة وأطباق الحلوي.. وإزدان وسطها بباقات الورود.. أما الجالسون حول الطاولة فكانوا ينظرون إلى الكاميرا في رضا ويبتسمون، وكانت وجوههم تنطق بالارتياح .. وبدت وجناتهم موردة بدماء الصحة والعافية واربطة إعناقهم فاخرة تتدلى من ياقات قمصانهم زاهية ملونة..!

ودخل الوفد الأجنبى قاعة الاجتماع فنقلت الكاميرا صور الأعضاء يتقدمهم رئيسهم..

هذا الوفد كما علمنا جاء يبحث قضية الإرهاب. وكما اعلنت بعض الصحف أنه ربما يبحث إن تبقى وقت فى الاجتماع قضية الجدار العازل وقضية هدم المنازل وقتل المدنين والاضرار البليغة للبنية التحتية التى أصابت الضغة وقطاع غزة بفعل الهجمات الشرسة لجنود الاحتلال

الإسرائيلي!

فجأة .. احتلت شاشة التلفاز صورة رئيس لجنة الوقد الزائر ورئيس لجنة الباحثات الفلسطيني وهما يتعانقان ويحييان أعضاء الوقدين ثم يجلسان .. بعد ذلك شاهدنا المجتمعين يبتسمون أثناء التقاط مصورى الصحف ووكالات الأنباء الصور التذكارية.. وتحولت الكاميرا فتصدرت الشاشة صورة المذيع وهو يقول: الآن يبدأ الاجتماع في سرية.. وسوف نوافي مشاهدينا الكرام بعد الجلسة بنتيجة المباحثات.. حتى ذلك الحين نتقل إلى استوديوهاتنا لنعرض على حضراتكم إحداث الفيلم العربي..!

كان غسان بين الجالسين يشاهد وقائع جلسة الاجتماع بين الوفد الزائري وممثلي الجانب الفلسطيني وكان التلفاز موضوعا على طاولة بين الخيام..

حملق غسان في الوجوه المزدحمة حوله.. كانوا من الرجال والنساء والأطفال والعجائز وكان بينهم جرحى جاءوا مستندين على الشباب ورأى بوضوح في عيونهم اللهفة والشوق والأمل في إصلاح الحال..

قام غسان ومشى وهو يعرج، كانت قدمه اليسرى مربوطة بضماد يغطى جراحا مازالت حية ..! واتجه إلى الخيمة التى تضم رفاقه الذين تهدمت بيوتهم..

دخل الخيمة .. وجد جاره مروان نائماً بفعل حقنة المخدر التى أوصى بها الطبيب لكى تساعده على تحمل الام جراحه البليغة. وهم غسان أن يتناول قرصاً مسكناً لالام قدمه، لكن مروان استوقفه وهو يفتح عينيه..

وسمعه يهمس في ضعف شديد:

- أنا لم أنم يا غسان.. ماذا قال الوفد الأجنبي وماذا فعل ممثلونا..!؟ قال غسان:
- استرح يا مروان، الجلسة سرية، وسأخبرك حال إعلان نتائج المباحثات.. غمغم مروان وقال: هلا أطفأت عطشى بقليل من الماء يا أخي..!؟
  - قدم له غسان دورق الماء، وسمعه بعد أن ارتشف منه قطرات بقول متفرزا:
- الماء تغير طعمه.. حذار يا غسان أن تشرب منه أنت والرفاق .. لقد فسد ..!
- سكب غسان ما تبقى من ماء بالدورق على الأرض ونظر إلى مروان بإشفاق وخرج

يبحث عن ماء نظيف..

كان الخلاء أمام غسان موحشاً..

رأى أرضا قاحلة، خفق قلبه حزنا فقد كان يعرف هذه الأرض التى نشا فيها، يعرف أنها كانت تزدهى بالخضرة قبل أن يجرفها جنود الاحتلال الإسرائيلى ومشى يبحث عن بئر ماء لكن تبين له أن الآبار كلها ردمت مع الأشجار المثمرة التى اقتلعت من جنورها.. وامتلات عيناه بالدمع وهو يرى مكان بيته خراباً .. كانت رضوى تنتظره وتمسح عنه التعب بعد عودته من العمل.. كانت تعد الطعام وتفسل الثباب، تحنو على أمه العجوز .. وترعى طفلهما الصغير شادي.. كانت تحلم معه بالفرج وتأمل فى مساندة الأخوة أبناء العمومة ممن ينتمون إلى العروبة، وتدعو الله أن تنقل لهم فضائية من الفضائيات العربية بعد بث برامج الغناء والرقص والأفلام، بعد مباريات الكرة وحفلات اختيار ملكات الجمال، بعد مهرجانات أزياء الصيف بأحدث الموضات للحسان وبعد توصيات الخبراء في الاهتمام بالبشرة للوصول بالجميلات إلى المستويات الثالية.. وبعد.. وبعد أن يستمع الجميع.. كانت رضوى تدعو الله أن تنقل المشائيات أخبارهم لإخوانهم العرب والناس في الدنيا وتحكى لهم كيف يعيشون الخضائيات أخبارهم لإخوانهم العرب والناس في الدنيا وتحكى لهم كيف يعيشون تحت قبضة الاحتلال.. محرومين من الحد الأدنى للحياة الإنسانية .!

كيف اقتلعت أشجارهم وأحرقت حقولهم وجرفت أراضيهم، كيف أنهم لا يجدون طعامهم بعد أن أغلقت المتاجر.. كيف حرم أولادهم من التعليم بعد منع التجوال بأوامر عسكرية إسرائيلية..

كيف لا يجدون الماء بعد ردم الآبار وتفجير الأنابيب.

كان غسان يتنفس بصعوبة وهو يمشى وفي عينيه صورة رضوى زوجته وهى تدعو الله وتنتظر وتأمل وتأمل. وصورتها الأخيرة وهى تحدره من مغادرة البيت للبحث عن الله وتنتظر وتأمل وخرج متخفياً غير مبال بخطر التجوال. وأخذ يبحث عن أى شيء يسد به رمق طفله وأمه العجوز حتى حصل على لقيمات خبر عند بعض الاصدقاء.. وحين عاد جريحاً مصابا بطلق نارى لم يجد البيت ولا رضوى ولا أمه العجوز الضعيفة.. لم يجد أحدا..!

وكانت الطائرات الإسرائيلية تلقى قنابلها على المخيم، يومها ارتمى على الأرض وامتلاً فمه بالتراب نزف دماء كثيرة، نقلوه إلى المستشفي، مكث أياماً وأخرجوه إلى الخيام مع الذين هدمت بيوتهم.. كانوا أجساداً جريحة ، بطونا جائعة، الظمأ يعنبهم ونار الحصى مشعوية في أبدانهم!

وتنبه فجأة وتذكر قول مروان بأن الماء قد فسندواقال لنفسه.. إن مروان لابد أن يشرب ولابد أن يتناول الدواء.. ودارت عيناه.. مسحت الفضاء من حوله، لم يجد أحدا بساله عن بعض ماء نغليف ووجد نفسه يسأل:

- أترى الفيلم العربي الذي شاهده كثيراً قد وصل إلى كلمة النهاية..؟

أسرع غسان في مشيته متحملا ألم ساقه ليلحق بالمذيع وهو يعلن عن نتيجة المباحثات. واتجه إلى المر الضيق بين الخيام..

كانوا مازالوا جالسين وأمامهم الصورة بالتلفاز واضحة.. ملونة.. ووقف يستمع إلى المتحدث الرسمى للوفد الزائر الذي بدا راضيا.. وعلى شفتيه ابتسامة وسمعه يتكلم بهدوء بارد ويقول: بحث الوفدان قضية الإرهاب وانتهيا إلى نتيجة مهمة.. وهو أن الإرهاب مرفوض .. مرفوض..! لكن الوفد الزائر يؤكد أيضا.. أن من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها..!

واتفق المجتمعون على أن بقية الموضوعات سوف تبحث في الاجتماع الذي سيتحدد موعده في المستقبل بعد أن يقضى على الإرهاب ويتحقق الأمن لإسرائيل..!

تجمدت عينا غسان وهو يحملق ذاهالا في صورة طاولة الاجتماع وهي تتصدر المشهد التلفزيوني وهي مزدحمة المشهد التلفزيوني وهي مزدانة بالزهور والورود .. ممتلئة بالحلوي.. مزدحمة بزجاجات المياه المعدنية وعصائر الفاكهة!

وفيما هو كذلك إذ تناهى إلى سمعه كلام كثير من التلفاز .. ومن الجالسين.. ومن مراسلى الصحافة والإعلام.. وبدا وكأنه لا يفهم شيئاً مما يحدث .. لكنه حين نظر إلى الدورق الذي بيده ..

أدرك أنه مازال فارغاً وليس به قطرة ماء واحدة...

وأن عليه أن يبحث عنها ويحصل عليها بكافة السبل..!!

## شعر

## شريعة الغرياء

### عيد عبد الحليم

الأشجار البعيدة

بنى كرخاً على أطراف القرية بنى بيوتاً للمحبة فى القلب الذى أمن بقدرة الآخرين على الانتظار

، صنع فخاخاً لاصطياد اليمام الذى فر من الأشجار البعيدة بحثاً عن حبوب القمح فى الأرض الجرداء

قال لابنه - ذات صباح -:

لو قاض النهر

عليك أن تسرع لجمع الأعشاب

حتى لا تدرك القرية

البعون عاماً عاشها

ينتقل من مقهى إلى مقهى

ومن شارع إلى شارع

ظاناً أن الملائكة

من المكن أن تخرج

من أبخرة السجائر

من أبذرة السجائر

من أدران المساءات الحزينة

حرك الوتر فطارت عصافير وحطت عصافير بينما طفل يلهو بدبدويه بين الكراسي

لماذا – إنن – لا يصل مصممو الديكور إلى درجة ترضى النظر مما يجعلنا مضطرين – دائماً – إلى تحريك الأصابع فى الفراغ المجسم

ظل على مقهى لهم وحدهم حق النظر إلى السماء والنظر إلى السماء ولنا أن نحرث الأرض بالطيبة والمحبة ونكران الذات

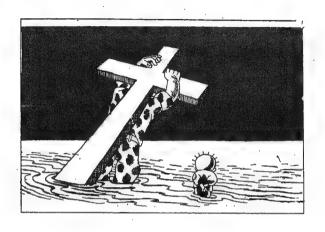
علمونا أن نرى الله من خلف زجاج سميك والدعوا لأنفسهم حق امتلاك الصعود إلى الأشجاز كان يغسل ملابسه

- كل مساء كقديس
وأمراته تبتسم
على جسده العاري
من جراء حروب خاضها
على من يطلق الرصاص
هو القناص الماهر
الذي امات التعابين
من أمر البنات
الإيليسن السواد

فاجأه الموت - بغتة -وإهل البلدة في السعق المجاور فدفنه العابرون في مقابر الغرباء

> نعمة الإبصار صعد العارف وفي يده الكمان

- التي تظهر ليلاً -يطل على البحر أجلس أمامه مؤكدين علبنا مترقبأ الصياد العجوز أن نحتفظ في أثو إبنا المثقوبة الذى يغنى لسفينته المتهالكة يما تساقط من ثمر ، فأسرق منه اللحن دائماً أنسج على منواله أغنية أهديها لحبيبتي ما نكبح شهوتنا في امتلاك الحياة وأمضى نريى أولادنا الآن على الرضا بالقليل لا بيت ورائي وكيف يخرجون إلى الشوارع أنما حثة طائر بأقواه استدس ناحبتها تلهث بالنشيد الوطني بنظرة حزينة نحن الرجال الطيبون الذبن اشعلوا النبران الباب الخلفي في أشجار الجنة خرجوا من الباب الخلفي للروح لسكنوا ثم راحوا في ذاكرة القري ببحثون عن الظل في أول مقهى أحدهم أمسك سنارة أول اللحن وحاول اصطياد الفراغ وأنا طفل صغير لكنه مات غلى صدر امرأة كنت أتمنى عاشرت مائة رجل أن يكون لي بيت



على باب المترو وأخرهم حاول اصطياد الفراشات لكنه مات بداء النسيان تاركاً لأولاده صورة له وهو طفل يحمله ابوه وفى يده نبوت الخفير ماتوا جميعاً بالسكتة القلبية

وأحدهم أشار إلى السماء واحتضن شجرة بين الضلوع بعد أن فقد ذراعيه في مشاجرة

## شعر

## هشيم النخل

### إبراهيم خطاب

فالبس اللهجة مراوغه ف حطتك بالأرض ذات الرجع حجج حجج الراهنين حين خطت القدم الكليله بجملك مسراها مهبط دفتين للقاع ورق ينصبها جلال وصاياه الحزمت سؤالاتنا بالواشى العلي فانتزعت النخل الخطوط

خلع الجنون والنشاز اكتشافك ليك دهشة اللحظة بدلنا جلدك بالذى منا نسيجه فلا سواك مالك ولا سواك مملوك برجفة الابتدا منصوب بخياراتك هوى مرسل

التبست الرؤيا عليك

ف غيرك فتخذ خيالك ف الجيال إن شئت سکنی ريما فتقت نطاقينها نهارات العبيد استحلفت فضباو إتك اللاشي شجر هيولي يمسد الرجمة رغيف ويوزع على حضاره فيا العشيرة اهجريني من نسابيكم ما کان علی طینی جرج حین فر سابیکم غزلان هواكم عنت لما انتشت بإيدكم عن الحقيقة غفت لصنقار سئابلكم

هتف اللي ما كانت سريرته حنجره سماع بالتهر بالمطر الرعيد جبل انكساراتكم عليكم خزيكم نبوءة الامتثال مركب حججكم للفدا.... لا عاصم اليوم من هطيل المنفى تحتشد فيك استكاناتك ملا -مراوغ وكأنها ح که تستسلم النيات حروفك حسيدك بشاراتك السرية ورق الخطى ف تویه دهس كنت المستكين ف رجوعك مسك بصيص الصولجان عمدا وبظرت نفسك فآلتبست

## منتدىالأصدقاء

## وحيد

وأفضل ف بعنك وحيد...
مراكبي..
وتايهه منى الشطوط
مدينة حدودها الدموع...
وليلها تابوت...
مدينة .. بعيدة
شتاها.. خريفها
ربيعها.. صيفها

مناها تنفض ركام التراب تفتح عينيها .. تمطع إيديها تطرح تعبها ..

وأفضل ف بعدك.. مدينة كسولة

مناها تعيط .. تخفف دموعها

تحس انتسامها مناها ف أبدين تطبطب عليها تريح جراحها الحزينة الأليمة.. وأقضل ف يعدك سراب وينبرب مهاجن بعيف ولاعرفش أرضه طاس يلف الدى طوله وعرضه (تعب) لكنه لسه في تيه السحاب وعامية عنيه شوية ضباب مره تهده رباحه الحزينة ومرة يهده الأسى والعذاب يحاول يغنى لكنه جريح شعر / عصام عبد القادر

## انحناء

مطر خفيف يتساقط بالذارج، وهواء بنابر البارد بلقع الأجساد ويذلترق العظام.. دخلت هرياً من لسعة البرد... احتواني المكان... ستقف متقبب عال منزدان بصور كائنات سماوية محنحة بتوسطها رجل حجالس على العجرش ممسك بكرة في بمينه .. زجساج النوافسة العشق بالألوان الأزرق والأخضس والأصفر والأحمر. شموع مضاءة " أمام صبور كبيرة لأناس رجلوا.. رائحة البخور التي تملأ المكان فيما يتسهادي صبوت رخيم خاشع .. يرتدى صاحبه حلة بيضاء موشاة بخيوط ذهبية لامعة، وتستقر على رأسه عمامة بيضاء كبيرة رصعت بقصوص من أحجار كريمة مختلفة الألوان زينت حوافها بضيوط من الذهب الأصفر اللامع....

«لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم!؟

تأملت ملابسي.. أثاث بيتي.. كتبى القديمة.. ملابس زوجتى وأطفالى.. انفض الجمع وخرجنا.. استقبلنى هواء بارد ومطر.. عربة فارهة تنتظر صاحب الصوت الرخيم.. هوى فوق مقد و ثير .. وإشار للسائق مالانصر إف...

انحنيت عرافسحت له الطريق،

صفوت فوزى

## لاأريدالكتابة أوالقراءة

الآن حبيبى لا أريد الكتابة والقراءة. الآن حبيبى أقول لك قلمى جف من كلمة بحبك.

لا أريد حبك أبدأ.

أحببتك حبا صافي.

والله يعلم ما في قلبي لك.

رحلت وتركتني وأنا في حاجة إليك.



تاتهم المدينة بأنهارها.. بأشجارها بدورها ودرويها وترقفت وترجلت منها كاهنة المعبد وأقبلت بخطوات وثيدة من حولها تهمى السماء وترعد تلتحف أجنحة الغربان سودا مقيته اقبلت

> فى عباءتها.. كل أشواك كل أشراك كل.. كل.. أوحال الطريق بين يديها سفر قديم وتقف فى قلب المعبد تقصف..

في عينيها حفر الجميم

تقرا وتقمقم...
وتعود تقصف من جديد
تمنح الاشقياء والمجرمين البركة
وتتصاعد أبخرة بخور المعبد العطنة .
تمتد كي تخنق الصغار

جرحتنى وانت مدرك بجرحى. جرح عميق لا يوجد لها داء أو دواء. الآن حبديبى حبك فى قلبى مثل المرض الذى لا يشفى منه أبداً.. انت وردة سوداء ولكن...

اننى سوف أحارب نفسى لأجل أن أترك حبك من قلبي.

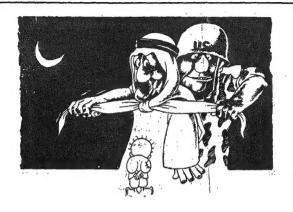
لماذا أنت تجرحنی هل فعلت شی، معك مسوى أننی أحببتك لا بل عشقتان

اننى لا اعلم بما اصفك انت. يا إلهى اشهد انت على حبى له.. وعلى جرحه لي... اشهد يا قمر انت على حبى له.. وعلى ظلمه لى.... اشهد انت على حبى لك.

دعاء عبد المنعم توفيق

## وتعود تقصف من جديد..

أضراس عربة مدلهمة .. جليدية امتدت حرائق أذرعا أخطبوطية



بجراحنا وشكوانا وتنشر كاهنة المعبد عباءتها قاصفة أنتم حراس المعبد المخلصون عليكمو في كل لحظة بالصلاة بالقرابين والبخور لعلكم تتطهرون...! لعلكم عن جهلكم وذنوبكم تكفرون دعاء حسين بدوي المنصورة الدقهلية ندس أيدينا بين أيديهم القذرة علنا نقتبس البركة..!!

> ونمتهن تأبين كرامتنا لنشرى قلوبا صدئة ونمتهن حفر القبور وفي المعبد الوثني حرق اعود البخور ونمتهن الرقص على بقايانا والاحتفاء باللهو والعبث

## إشارات

### فاروقشوشة

أحمل في قلبي ومقلى الكثير من الحب والتقدير للحزيز فاروق شوشة، وقد بلغ فاروق هذا العام ٢٠٠٦ السبعين من عمره المديد إن شاء الله، وهي مناسبة طيبة لكي يقال عن فاروق شوشة بعض ما يستحقه وهو كثير.

ناروق شوشة هو «زهرة» جيلنا الذي لم يختلف عليه أو معه أحد، رورجع نلك إلى إخلاص فاروق في العمل والإنتاج الاببي والفكري والإعلامي مع ترفعه التام عن الخوض أو التوسع في العلاقات الشخصية وهذا هو والإنتاج الاببي والفكري والإعلامي مع ترفعه التام عن الخوض أو التوسع في العلاقات الشخصية وهذا هو السبب نفسه في أن إنجازات قاروق شوشة كثيرة من ناحية الكيف والنبوء، وفاروق شوشة صاحب هذه المواهب جميعا، لأن التعدد يؤدي إلى التشتت والحيمان من التركيز، وإكن فاروق شوشة نجا من هذه المعادلة القاسية، فهو متعدد المواهب. نعم. ولكنه باجتهاده وإخلاصت ومحرسه الرائع على استثمار وقته وقدراته استطاع أن ينجع في كل لليادين التي استدت إليها مواهب. فلمسيات فاروق الثقافية في الثلاثيون هي دائرة معارف كاملة ويدينة لعصرنا الثقافي بكل قضاياه وهشاكله وشخصياته، أما برنامجه الشهير الذي بدأه منذ سنة ١٩٦٧ – فيما أعلم – أي منذ حوالي أريعين سنة وهو وشخصياته، أنا أن هناك ما يفوقه في جماله وأصالته وبساطته، فهذا البرنامج هو «القاموس العصري ويمكننا أن نقول بلا تربد عن طفي المعالية الموبلة بصورة بالميان المناب عليه من فن أيضا، استطاع فاروق شوشة بصوته القري الجميلة» إنه برنامج أدبي لموري موسيقي، وعن طريق هذا البرنامج والمعلة عاروق شوشة بصوته القري الجميلة إنه برنامج أدبي موسيقي، وعن طريق هذا البرنامج ما العطرة الموسية الموسنة الموسية الموسية.

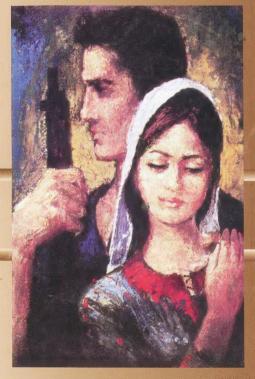
وفاروق شوشة استاذ من اساتذة الإنصاف في هذا العصر، والإنصاف لا يصدر إلا عن شخصية قوية دافئة تمشى بين الناس في شخص فاروق شوشة، وكثيرا ما اقرأ على قلم فاروق اسماء أدبية عزيزة احاطت بها ظروف قاسية مثل: وحيد النقاش وغيد الجليل حسن وغالب هاسـا وخالد الساكت، ولولا وفاء فاروق الأدبى والشخصي، ولولا بصيرته وأمانته لكان مصير كل هذه الأسماء الكريمة هو النسيان الكامل.

وقاروق – بعد ذلك وقبل ذلك كله – شاعر كبير، وهو في المقدمة من شعراء عصرنا أصحاب الشخصيات القوبة المتميزة، وإعماله الشعرية الكاملة التي صدرت في مجلدين كبيرين منذ عام تقريبا هي ثروة من الشعر الرائع والتجارب الإنسانية والفنية الفريدة.

واحب أن أشير منا إلى المنصب الثقافي الذي يشغله الآن فاروق شوشة إلى جانب إنتاجه المنتظم في الشعر والقده، وهذا المنصب هو منصب «الأمين العام المجمع اللغري» وفي رايي أن هذا المنصب هو القابل الثقافي لمنصب الامين العام للجامعة العربية، والكثيرون لا يلتفتون إلى هذه القارنة لسبب واحد هو أن الثقافة في عالمنا العربي ماتزال للأسف الشديد أقل أهمية من السياسة، رغم أن الثقافة عندنا هي التي «تجمع»، أما السياسية في التي «تغرق».

واخيراً احب ان اقول إن التعريف الحقيقي للمثقف كما تطمناه من الكتب ومن الأساتذة ايضا هو «الإنسان النبياء وفاروق شوشة هو المثقف بهذا المعني، أي أنه مثال حي للإنسان النبيا، وهو دليل قوي على أن الذين يعتشرون عن سوء اخلاقهم بأنهم فنانون هم كاذبون ، فالفن الجميل برتفع بالأخلاق ولا يهبط بها على الأطلاق.

رجاء النقاش



والثمن ٣٠ جنيهات،

الأمل الطباعة والنشر وقم الإيداع ٩٢/٧٥١٢